MEDIA-MER

الشهيد الدكتور

عصام العريان

ذكريات دعوية ومواقف تربوية

الدكتور علاء الدين عبسلان

الشهيد الدكتور

عصام العريان

ذكريات دعوية ومواقف تربوية

- ذكريات دعوية يحكيها الدكتور علاء الدين عباس عن رفيق دربه الشهيد الدكتور عصام العريان، الذي عاش حياته بين إصلاح نفسه ودعوة غيره؛ تحقيقًا لتصور أستاذه حسن البنا عن الأخ المسلم، والتزامًا به لدرجة التفوق والريادة.

- رصد لبعض المواقف التربوية للشهيد الدكتور، التي عايشها المؤلف وشهد عليها، والتي أثبتت أنه كان قائدًا بالفطرة، وفي الوقت نفسه كان أبًا حانيًا على جميع إخوانه ورفاقه رغم حداثة سنِّه.

- توثيق لبعض صفات ومآثر سياسي بارز، وداعية موفّق، وقانوني فقيه، عاش عمره كله للإسلام ولدعوة الإسلام يشتغل لها على مدار اليوم كله، ولا يعطيها فضل وقته، كما يفعل كثير من الدعاة.

- سياحة في سيرة أحد أهم رموز جماعة الإخوان المسلمين، والذي كانت حياته حافلة بالنشاط العام، والدعوة إلى الله، ومدارسة العلم، حتى غيّبتهم معتقلات العسكر بمصر سنوات طويلة، ثم فاز بالشهادة داخلها.

مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب
İletişim: media.mer.tr@gmail.com

الشهيد الدكتور
عصام العريان

ذكريات دعوية ومواقف تربوية

الدكتور علاء الدين عباس

MEDIA-MER
MEDENİYET İNCELEME ARAŞTIRMA VE EĞİTİM DERNEĞİ
مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب

الشهيد الدكتور

عصام العريان

ذكريات دعوية ومواقف تربوية

Şehit İsam el-İryan

Davet Hatıraları ve Eğitim Stratejisi

الدكتور علاء الدين عباس

Dr. Alauddin Abbas

Yayıncı

MEDIA-MER
MEDENİYET İNCELEME ARAŞTIRMA VE EĞİTİM DERNEĞİ
مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب

الناشر

مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب

Birinci Baskı
Baskı-Cilt: Ofis Matbaa
İletişim: media.mer.tr@gmail.com

المحتويات

مقدمة الناشر 5

مقدمة المؤلف 11

الفصل الأول: القائد الوالد 15

الفصل الثاني: عزم الرجال .. في الخطوات الأخيرة 21

الفصل الثالث: مراكز القوى والعائلة المالكة 34

الفصل الرابع: المقدمات لا تؤدي بالضرورة للنتائج المتوقعة 45

الفصل الخامس: مشادة في سجن طرة 58

الفصل السادس: نقابة أطباء مصر من دكان للوجاهة إلى قلعة للحريات .. 65

الفصل السابع: عصام العريان الفقيه القانوني 85

الفصل الثامن: رحلة إلى رأس سدر 97

★✸★

آخر تغريدة للشهيد الدكتور عصام العريان على «تويتر» قبيل اعتقاله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23).

في هذه الآية القرآنية الكريمة اصطفاءان:

- اصطفاء للمؤمنين من بين عباد الله منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- ثم اصطفاء لرجال من هؤلاء المؤمنين عاهدوا الله فصدقوا... عاهدوه على نصرة دينه، والجهاد في سبيله، والذود عن حياض شريعته، والرباط على ثغرات العقيدة، وبذل النفس والمال لإعلاء راية الحق، وإذلال راية الباطل.

هؤلاء المصطفون من مصطفين يُنذرون أعمارهم، ويُوقفون حياتهم لأجل غاية عظمى هي تعبيد الناس لله الواحد الأحد، وتطبيق شريعة الله على أرضه، ومحاربة الطواغيت بشرًا وأفكارًا، وهم يصدقون العهد، ويَوفون بالنذر، فلا يُغيّرون ولا يُبدلون حتى الرمق الأخير، وإلى أن يَلقوا ربهم لترث أجيال جديدة جهادهم، وتُكمل طريقهم، وتُواصل السير على دربهم.

وقد كانت دعوة الإخوان المسلمين المباركة محضنًا لهؤلاء الرجال الذين انضووا تحت لوائها، وتمثّلوا مبادئها، وتحركوا بين الناس بأفكارها، وتحمّلوا عثرات الطريق الشائك وصعوباته التي هي قدر المصلحين والدعاة في كل زمان ومكان، وسنة الله الماضية في خلقه؛ تدافعًا بين الحق والباطل حتى قيام الساعة..

الحق مجسدًا في دعوتهم الربانية الخالدة.

والباطل مجسدًا في أنظمة الحكم الفاسدة التي لا ترى في هذه الدعوة ورجالها إلا تهديدًا لبقائها ومصالحها وتحالفاتها المشبوهة، فتسخِّر قواها وعملاءَها لمحاربة دعوات الإصلاح، وتجفيف منابعه؛ ليبقى الاستبداد سيد الموقف، وتظل الشعوب ترزح تحت نير الحكم الظالم والملك العضوض.

وقد نال دعوة الإخوان ما نالها من تلك الأنظمة القمعية طوال تاريخها، وتحمل رجالها صنوف الاضطهاد والظلم والتنكيل، فلم تَلِن لهم قناة، ولم تفتر لهم حماسة، ولم تسقط لهم راية؛ إذ كانوا يؤمنون بأن ما يلاقونه هو من لوازم الطريق الذي اختاروه لخدمة عقيدتهم وأمتهم.

كان هؤلاء فوق المساومة والتنازل رغم كل ما لاقوه وعانوه داخل سجون الظلم وخارجها، ورغم حرمانهم من حقوقهم الإنسانية، ومحاربتهم في أرزاقهم، وملاحقتهم بالاتهامات الظالمة، والتفنن في اضطهادهم وقمعهم..

كانوا مثالاً في الصمود والثبات حتى لقوا الله إما طلقاء ولكنهم أسرى الظلم والتنكيل، أو سجناء وراء قضبان الأنظمة القمعية الفاسدة محرومين من كافة حقوقهم المشروعة التي تُقرّها المواثيق الوضعيّة وقبلها القيم الإنسانية.

لقد انعتقت أرواح كثير من هؤلاء الرجال في سجون الظلم بعد سنوات، بل عقود من المعاناة والإذلال والقهر، وكل المحاولات اليائسة لإثنائهم عن غاياتهم وجهادهم..

لقوا الله ثابتين لم يبدلوا تبديلاً، وكان موت كل منهم صفعة قوية على وجه نظام حكم هشّ، حتى وإن كان يحكم بالحديد والنار؛ إذ لم يُفلح في صرفهم عن طريقهم وقطع رجائهم فيما ينتظرهم عند الله من عظيم الأجر وموفور الجزاء.

وفي هذه الصفحات، يقدم مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب ترجمة وثائقية إنسانية لأحد هؤلاء العظام، وهو القيادي الإخواني د.عصام العريان الذي استشهد مؤخرًا في سجون الانقلاب العسكري بعد اعتقاله في أعقاب هذا الانقلاب الغاشم مغتصب الشرعية ولص الديموقراطية..

هذه الوثيقة سطّرها واحد من رجالات الإخوان الذين عايشوا الشهيد د.عصام العريان، وعرفوه عن قرب، ولمسوا مواقفه والتحموا به في كثير من المناسبات والمواقف، فجاءت هذه الوثيقة ترجمة صادقة لسيرة ومسيرة الدكتور عصام العريان، وشهادة غير مجروحة على جهاده في سبيل دينه ودعوته، ثم أمته ووطنه.

في هذه الترجمة، نتعرف على جوانب من حياة الشهيد د.عصام العريان.. الطبيب والنقابي والبرلماني والسياسي الذي

كان في كل هذه المجالات مثالاً للعطاء والبذل، وعلو الهمة، ونقاء المقصد، وحماسة المجاهد، وإخلاص الداعية، وثبات الجندي .

نتعرف على الطبيب الإنسان، والنقابي النشط، والبرلماني الواعي، والسياسي المتمكن من أدواته، ونتأمل مواقفه المُوحيّة في كل هذه الدوائر، ونرى كم فيها من الدروس والعبر والدلالات على شخصيته المتميزة، ومنهجه الدعوي، وأسلوبه في مواجهة المشكلات والتحديات التي لم يخل منها طريق مصلح أو مجاهد .

و مركز الحصاد للبحوث والدراسات والتدريب إذ ينشر هذه الوثيقة ويقدم هذا التعريف إنما يسعى لأن يكون سببًا في تطبيق قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ (يس: 12)، وذلك بتسجيل بعض ما ترك الشهيد د .عصام العريان من آثار ومواقف وأعمال رحل هو وبقيت، شأنها شأن سِيَر ومناقب كل العظماء والمصلحين على مر التاريخ.

فهؤلاء يموتون وتحيا أعمالهم.. يغيبون وتبقى مواقفهم حاضرة.. يمضون وتظل سيرتهم كنوزًا من الدروس والقيم التي لابد للأجيال من تمثُّلها واستيعابها والتزود منها والاعتصام بها بعد الله (عَزَّوَجَلَّ) في مواجهة الطواغيت في كل زمان ومكان...

إن إحياء سيرة د.عصام العريان شهيد الانقلاب العسكري الغاشم في مصر هو وكل رموز الإصلاح وقادة التغيير فريضة فكرية، وواجب دعوي، وضرورة إنسانية؛ لحماية سِيَرهم من الاندثار، أو حتى الطمس والتشويه بأيدي محترفي تزوير التاريخ وتزييف الوعي ولي عنق الحقيقة، وأيضًا لتكون تلك السير الملهمة قدوة لأجيال تتعرض لمؤامرات اغتيال العقول والأخلاق..

رحم الله الشهيد د.عصام العريان، وطيّب ثراه، وجزاه خيرًا عما قدّم لدينه وأمته، وجعل دمه لعنة على النظام الانقلابي وأعوانه وحلفائه والمنتفعين منه على حساب حرية الوطن وكرامة الشعوب.. هذين الغايتين اللتين بذل نفسه لأجلهما؛ قاصدًا وجه ربه، ثم عزة عقيدته، وسيادة أمته.

مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب

مقدمة المؤلف

هذه مقدمة لابد منها عن الدكتور عصام العريان وعنوانها (التلميذ الذي حقّق تصور الأستاذ)، أقول فيها:

كان الإمام الشهيد حسن البنا (رضي الله عنه) يتصوّر الأخ الصادق الذي يستشرفه في حالتين:

«أنه ذلك الأخ الذي يُصلح نفسه ويدعو غيره»..

وهكذا عاش الأخ الشهيد عصام العريان بين إصلاح النفس ودعوة الغير.

ويظن كثير من الإخوان بأن **إصلاح النفس ودعوة الغير علاقة متوالية، ترتيبية**؛ بمعنى أنك بعد أن تصلح نفسك تبدأ في دعوة غيرك،

ولكن عند عصام العريان كانت العلاقة - كما فهمها من أستاذه - تكاملية تبادلية.

فقد فهم من شيخه أنك لن تستكمل إصلاح النفس إلا بدعوة الغير.. وأن استجابة الغير لدعوتك رهن بإصلاح نفسك لتكون قدوة وإمامًا لهم..

فأصبح إصلاح النفس ودعوة الغير حلقات متكاملة يؤدي بعضها لبعض.

وكان إصلاح النفس عند الأستاذ قد تصوَّره في عشر مظاهر مُرتبة لاستكمال شكل الأخ الصادق، وذلك بأن يكون:

1 - قوي الجسم.
2 - متين الخلق.
3 - مثقف الفكر.
4 - قادرًا على الكسب.
5 - سليم العقيدة.
6 - صحيح العبادة.
7 - مجاهدًا لنفسه.
8 - حريصًا على وقته.
9 - منظمًا في شؤونه.
10 - نافعًا لغيره.

وما كانت حياة عصام العريان إلا تحقيقًا لهذا التصور والتزامًا به لدرجة التفوق والريادة.

فمن عاشر عصام العريان، فسوف يلحظ أنه عاش هذه التصورات، وتمثّل هذه الصفات وتجاوزها أيضًا.

فمثلاً تجد أن أخلاقه كانت تودداً وتلطفاً لا تجمّل فيها ولا تكلّف.

وكان يُقبل على صلاته تشوقًا ومعاهدة؛ فلا يعاني منها مكابدة ولا تُثقله مجاهدة.

وكان لسانه يلهج بذكر الله تلذذًا ومؤانسة.. لا ترديدًا بلا مدارسة.

تراه يؤدي أعظم الإنجاز.. في إيجاز..

إذا عاملته عن قرب وجدت **تواضعه سجيّة، وبسمته رضيّة، ويُقبل عليك بالكليّة.**

كان مهمومًا بأمته.. يعمل لدينه ودولته.. واثقًا في نصر دعوته.

الخلاصة.. كان عصام العريان هو التجسيد الحيّ لما تصوّره حسن البنا في رسائله عن مواصفات الأخ الصادق.

وعاش عصام دعوة البنا تمشي على الأرض.

نسأل الله لهما القبول والمغفرة، وأن يلحقنا بهما غير مبدلين ولا مغيرين.

الفصل الأول

كانت أولى لقاءاتي مع الأخ الحبيب عصام العريان في معسكر للجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة قبل أن تتميز للاتجاهات الأخرى من إخوان وسلفيين وجهاد.

وكان المعسكر تحت إشراف اتحاد طلاب جامعة القاهرة، وكانت المدينة الجامعية هي مقر المعسكر.. مباني سكنية وملاعب ومطاعم.

كنا في عام 1979م، وكانت الحركة الإسلامية تمور وتفور وتنتشر وتتوقّد حماسًا مشوبًا بالتطرف المصاحب للشباب عادة.

وكان الدكتور عصام العريان يتوقّد نشاطًا وحيوية ومعه الدكتور حلمي الجزار.

وكان كلاهما يسير وقد أحاط به الإخوة من كل جانب.

وكان إمامَ الصلاة لنا أخٌ نحيل رقيق، يحفظ القرآن عن ظهر قلب، ويُحسن تجويده وترتيله، كان طالبًا في كلية هندسة القاهرة اسمه محمود الراوي.

كانت أول مرة أصلي التهجد لساعات، ونطيل الركوع والسجود حتى قرب الفجر.

وأذكر أن محمود الراوي أقام بنا الليل كله بسورة المائدة.

كان إذا تحدَّث أَحسن اختيار العبارات ببلاغة وبساطة، ولا أذكر أنه قد لحن في كلمة قط.

ولا أنسى عندما كنت أحادثه عن عصام العريان ونشاطه وحلمي الجزار وذكائه، وكيف أن الواحد يستصغر نفسه أمامهما.

فقال ببلاغته:

والله كلما رأيت عصام أو حلمي شعرت أن الواحد عليه أن يقدم بين يدي نجواهما صدقة.

لاحظ أن هذه حوارات طلبة جامعيين في العشرينيات من عمرهما.

ولا أنسى خاطرة الدكتور عصام العريان بعد صلاة الفجر وهو يخطب متهدجًا :

«إن هذا الطريق طريق الابتلاءات والأشواك.. ولا تحسبوا أن طريق الدعوة مفروشًا بالزهور والرياحين.. فوطّنوا أنفسكم أنكم في صفقة مع الحق تبيعون أنفسكم وأموالكم وتشترون أغلى سلعة تشترون الجنة».

وبعد ذلك بدأنا مشوارًا جديدًا .

د. عصام يلقي كلمة في أحد المساجد

كانت اعتقالات الحملة الشهيرة فى أحداث سبتمبر عام 1981م، والتي أعقبتها بشهر اغتيال السادات، وخرجنا والحالة غير ما كنا قبلها من التضييق والمتابعة.

ولكن ما هي إلا أشهر وقمنا بإعداد أكبر معسكر لشباب الإخوان المسلمين بعد تميزهم عن السلفيين وغيرهم.

كان معسكر لشباب القاهرة والجيزة، حيث ركبنا عدة باصات من ميدان الجيزة والتحرير إلى الغردقة عام 1983م.

وكان المعسكر تحت غطاء وهمي وليس رسميًا، كما كنا نفعل في السبعينيات..

وكان عندنا انضباط أمني شديد، رغم أن المعسكر قد تجاوز عدة مئات من الشباب، لدرجة أننا كنا نتندّر بأخوين من سكان فيصل بالهرم، كل أخ جاءته دعوة للمعسكر عن طريق مسؤوله، فلم يخبر أحدهما الآخر، وركب كل منهما أتوبيسًا حسب مجموعته، ثم فوجئا أثناء التسكين بأنهما في غرفة واحدة.

وفي معسكر الغردقة، كان الجيل الذهبي لشباب الإخوان.. الدكتور عصام العريان هو مسئول المعسكر.. وكان المعسكر مقسمًا

لعدة مبانٍ في مركز للشباب والرياضة، وكان مسؤول المبنى الذي أقطنه الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح – فك الله أسره.

د. سناء أبو زيد

وكان نجم المعسكر بلا منازع الأخ المبارك الرباني د. سناء أبو زيد.. الذي كان يُحلق بنا في آفاق إيمانية بخواطره الرقيقة.

لدرجة أننا في يوم قمنا بزيارة متحف للأحياء البحرية، حيث كنّا نمر على أحواض للأسماك الملونة.

فانطلق الدكتور سناء مسترسلاً في خواطره، وهو يشير للأسماك الملونة، ويتحدث عن إبداع الله في خلقه، لدرجة أننا كنا ننتفض، بل وكان منّا من أجهش بالبكاء تأثرًا.. كانت مشاعر فوّارة وإيمانيات راقية وحماسة شباب واعد.

ونأتي لموقف تربوي لأخي الدكتور عصام العريان لا أنساه قط.

كان المعسكر يتبع وزارة الشباب والرياضة، وطبعًا له حراس وموظفين عادة ما يكونون عيون للداخلية على من يرتاد المكان.

وكان في ليلة من الليالي مباراة هامة لكرة القدم بين مصر ودولة أفريقية لا أذكرها.

وأثناء تداول الأمر، اتفقنا على أن كل مبنى يُرسل بعض الإخوة للكافيتريا التي بها الموظفون والتلفزيون لمشاهدة جزء من المباراة، ثم يبدؤون الانسحاب بالتدرج والذهاب للنوم؛ حيث إن جدول المعسكر هو النوم مباشرة بعد صلاة العشاء حتى نتمكن من الاستيقاظ في الثالثة صباحًا لصلاة التهجد.

وطبعًا ليس من المنطقي أن يخلد مئات الشباب للنوم بعد صلاة العشاء مباشرة دون أن يذهب أحدهم لمشاهدة مباراة بمثل هذه الأهمية، وأن مثل هذا التصرف سوف يثير الشبهات حول طبيعة هؤلاء الشباب.

وكنت من ضمن المجموعة التي انتدبوها لحضور جزء من المباراة ذرًّا للرماد في العيون.

وفعلاً، بعد بدء المباراة واشتعال حماس الحاضرين بدأ بعض الإخوة يتسلّلون لواذًا واحدًا تلو الآخر.

ولكن بقي البعض وأنا منهم نتابع المباراة بشغف، وقد أخذتنا الحماسة.

وكان الدكتور عصام العريان، وهو قائد المعسكر يتصرف مثل الأب القلق على عودة أولاده للبيت وقد تأخروا؛ فاضطر للنزول والذهاب للكافيتريا، حيث قام بالإشارة لنا بالعودة؛ فمنّا من قام على الفور، ومنّا من تباطأ وكنت منهم.

وفي الصباح، قرروا محاسبتنا على عدم الالتزام وإطاعة الأوامر بمشاهدة جزء يسير من المباراة والإخلاد للنوم بعد ذلك.

وقرّر الدكتور عصام إحالة كل مجموعة لمسؤول المبنى التابعة له، وكان من حظنا الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، والذي كان شديدًا وحاسمًا على سعة صدره ومحبته المفرطة لإخوانه.

وأذكر من الطرائف أنه كان من الذين سيتم تعزيرُهم معنا د. أحمد أبو الفتوح أخو د. عبد المنعم الأصغر.

د. عبد المنعم أبو الفتوح

وقام **د. عبد المنعم** بتعنيفه أمامنا بطريقة ساخرة، فكان يقول له:

«أنت خلاص بوظت يا أحمد.. من ساعة ما اتعودت تقف في طابور الشاي»..

حيث كان يقف بعد وجبة الطعام ليملأ كوب شاي لأنه مصدع.. فكان يقول له:

«خلاص ما أنت بقيت بتشرب الشاي من غير ما تتكسف وبقيت صاحب مزاج».

طبعًا، ونحن نكاد نسقط من فرط الضحك والدكتور أحمد يقف خجلاً مطأطئ رأسه، وهو يسمع لذلك التقريع.

وحكم عليه بتنظيف المبنى كنسًا ومسحًا، ثم التفت لي، وقال: **«أنت من ساعة ما كنا في سجن طرة وأنت عامل أستاذ في الكرة»** [حيث كانت أيامها بطولة كأس العالم في أسبانيا عام 1982م، وتخلّفت عن العودة للزنزانة وقت الإقفال؛ لأني كنت في مكتب الضابط أتابع مباراة ألمانيا والجزائر والتي فازت فيها الجزائر (2/1)].

من أقوال

د. عصام العريان

«إن هذا الطريق طريق الابتلاءات والأشواك.. ولا تحسبوا أن طريق الدعوة مفروشًا بالزهور والرياحين.. فوطّنوا أنفسكم أنكم في صفقة مع الحق تبيعون أنفسكم وأموالكم وتشترون أغلى سلعة تشترون الجنة.

المهم، قرّر د. عبد المنعم تعزيري بأن ألف حول تراك الملعب خمس مرات عدوًا بلا توقف.. ولو توقفت أو تباطأت أعيد الكَرَّة.

وهنا، اقترب الدكتور عصام العريان، وعلم بالعقوبات المقررة.

وطبعًا لا يملك أن يُثني الدكتور عبد المنعم عن قراراته، ولكنه شعر بأنه كان سببًا ولو بدون قصد في هذه العقوبة.

وما إن بدأت في تنفيذ العقوبة والبدء في العدو، حتى فوجئت بالأخ الحبيب عصام يجري إلى جواري، وهو يقول:

«**يالا شد حيلك يا بطل.. خلينا نخلص على طول**».

حاولت أن أعترض وأطلب منه أن يتركني لتنفيذ العقوبة التي أستحقها، فقال:

«**هو معقول أسيبك تجري لوحدك.. إحنا مع بعض نشجع بعضنا ونسهل طريقنا**».

وكأنه يريد إضافة درس جديد من دروس الدعوة.

كان أخي الحبيب عصام العريان قائدًا بالفطرة، ولكنه كان أبًا حانيًا رغم حداثة سنِّه.

ومازال في الجعبة الكثير من تلك اللمحات التربوية والدروس الدعوية.

★✸★

الفصل الثاني

عزم الرجال .. في الخطوات الأخيرة

كنا في صيف أغسطس عام 1984م، وكان اليوم شديد الحرارة، اتصل بي أحد الإخوة، وأبلغني بالتواجد يوم الجمعة في السادسة صباحًا، وأن التجمع أمام باب كلية الصيدلة بشارع قصر العيني.

وتم التنبيه بالحضور منفردًا وبملابس رياضية خفيفة فقط، عندما وصلت للمكان رأيت الكثير من الإخوان منهم من أعرفه، ومنهم من لا أعرف، ولاحظت أنهم يتجمعون كل خمسة أفراد معًا، ثم يمضون في اتجاه غير الآخر.

وقد تعوّدنا في مثل هذه المواقف أن نستجيب للأوامر، ودون أن نسأل عن أشياء حتى تُبدى لنا، ووجدت الأخ المسؤول عنى

أخي الحبيب الدكتور أحمد عمر، وعرّفني بأخ من البساتين اسمه أحمد خالد، كان خريج كلية علوم ويعمل فني تحاليل طبية.

وجاء شاب حديث السن.. كنت أعرفه من حلوان كان في إعدادى هندسة اسمه حازم هيكل.. أصبح فيما بعد صاحب شركة تجهيزات طبية معروفة.

ثم حضر رجل يكبرنا في السن كان وقورًا جدًّا وهادئًا.. وكان (يونيفورمال) يعني بالبدلة الرسمي والحذاء الجلد.. وآخر شياكة.

تعجبت من وجود هذا الباشا معنا في يوم رياضي شاق، كما يبدو.

ورأيت الدكتور عصام العريان عن بعد وهو يتحرك بنشاط وسط أحضان إخوانه وأشواقهم، ثم أخذ معه فريقه من أربعة من الإخوان وانصرف.

وبدأ الدكتور أحمد عمر في ترتيب وريقات مطوية.. كل وريقة عليها رقم.

فهمت فيما بعد أننا في رحلة جهادية، وأن الدكتور أحمد عمر أمير مجموعتنا سوف يفتح الأوراق التي تحتوي على خط سيرنا وعلى أنشطتنا الواحدة تلو الأخرى.

وأنه لا يحق له فتح أي ورقة أو الإطلاع على محتواها قبل الموعد المأذون به في الورقة السابقة.

بعد سنوات وأنا أقرأ في كتب السيرة قرأت شيئًا قريبًا من ذلك.. على ما أذكر أن الرسول (ﷺ) أعطى قائد جيشه عبد الله بن جحش ورقة تحدد اتجاه السير للمعركة، وأمره ألا يفتحها إلا في موضع كذا خارج المدينة كنوع من تأمين التحرك أو مفاجأة للعدو.

المهم، كانت الورقة الأولى تحدد لنا السير في اتجاه زهراء المعادي، وقد بدأت الشمس ترتفع في كبد السماء والحر يزداد والعرق يتدفق.

أثناء السير، كنا نلمح مجموعات من إخواننا، منهم من يسير معنا فترة، ثم يغيّر اتجاهه، ومنهم من يسير عكس اتجاهنا.

كانت الأوامر صارمة بعدم الحديث إلى أي مجموعة أخرى أو الالتفات لهم، وكأننا لا يعرف بعضنا بعضًا.

وكانت الأوامر «**ممنوع تناول الطعام أو حتى شرب الماء إلا إذا أذن لنا الأمير**».

وطال بنا السير حتى وصلنا للمعادي، ووصلنا لحديقة ظليلة فجلسنا لنستريح.

طبعًا، الباشا صاحب البدلة كان أكثرنا إجهادًا؛ فرابطة العنق تخنقه، والعرق يسيل على وجهه، وكان أصعب ما في الأمر حذائه الجلدي المُحكَم الذي حوّل قدميه لشعلة من النار.

كنت أقول في نفسي:

«إيه لازمة يجيبوا الأخ المستجد ده.. مش ممكن يستحمل أكثر من كده».

عندما جلسنا في الحديقة قال الأخ أحمد عمر:

«الآن نعرفكم بأخينا الفاضل الدكتور محمود غزلان - مدرس بكلية زراعة الزقازيق، حيث نستمع منه لمحاضرة حول «مكانة الأخلاق في الدين الإسلامي»»، وما إن بدأ الدكتور محمود غزلان في الحديث إلا وقد أدهشنا بثقافته الراقية وفكره العالي ورسوخ قدمه في الاستدلال بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

د. محمود غزلان

وكانت محاضرة تأخذ بالألباب فعلاً.

مهم جدًا ألا تتسرع في الحكم على أحد من مظهره حتى تعرف مخبره.

بعد المحاضرة، قمنا وبدأنا في تنفيذ الورقة الثانية.

مضينا في طريقنا لكورنيش المعادي، وأنا أمنّي نفسي بأنها ختام الرحلة المجهدة.

وصلنا لنهر النيل وتوجهنا لركوب معدية.

وأثناء ركوبنا المعديّة قابلنا مجموعة أخرى تنزل عكس اتجاهنا.

عبرنا بالمعدية للجهة الأخرى، ونزلنا في بلد اسمها «منيل شيحة».. كانت أول مرة في حياتي أزورها رغم مروري كثيرًا من حلوان للمعادي، فقد كانت على الضفة الأخرى من النيل.

كان الظمأ قد بلغ بنا أشده.. والحمد لله سمح لنا الأمير بالدخول للمسجد والوضوء والشرب، حيث حان وقت صلاة الجمعة.

وكنت أعتقد بعد الصلاة سيودع بعضنا بعضًا، ويمضي كل في سبيله.

ولكن بعد صلاة الجمعة أخذنا طريقنا خروجًا من «منيل شيحة» ناحية الجنوب.

وكان الأخ أحمد خالد الذي تعرّفت عليه لأول مرة يصدح بسورة الكهف بصوت رخيم وتلاوة خاشعة.

سورة الكهف التي أُنجزها تلاوة في أقل من ربع ساعة استغرقت معنا أكثر من ثلاث ساعات.

فقد كان الأخ يقرأ بضع آيات، ثم ينبري كل منّا في ذكر خواطره ومشاعره حول ما تم قراءته من آيات.. كانت أحاديث ثريّة ومؤثرة جدًا.

وعندما وصلنا إلى مدينة الحوامدية، وكان الليل قد أرخى سدوله، ركبنا المعدية لنعبر النيل للضفة الأخرى، حيث نزلنا مدينة المعصرة على طريق حلوان.

وعندما وصلنا المعصرة، كان د. محمود غزلان في حالة يُرثي لها فعلاً.. حذاؤه وتورّم قدميه جعله يمشي الهُوينا، وهو يعرج وكأنه يحمل أكياس من الرمال.

كانت خطوات عصام العريان الأخيرة في (الرحلة الجهادية) بمنتهى القوة والشدة على ما به من تعب ومعاناة درسًا جديدًا أضفناه للرحلة الثريّة، حيث جسّد معنى المثل العربي «الشجاعة صبر ساعة»

وتعلمنا منه :

- أن عزائم الرجال تظهر في الخطوات الأخيرة.

- وأن علو الهمة أن تدفع نقطة التعب ولو بضع لحظات زيادة.

وعرض عليه الدكتور أحمد عمر أن يستأذن هو، ولكنه رفض وأصرّ أن يواصل معنا.

ولكن كان من الواضح أن استكمال الدكتور محمود غزلان للمشي بعد ذلك مستحيلاً.

فانتحى به جانبًا.. ثم أشار لتاكسي وجعله يمضي به.

علمنا بعد ذلك أنه طلب منه أن يسبقنا ويشتري كميات من ساندويتشات الفول والطعمية والمياه، وينتظرنا عند نقطة النهاية.

ومضينا من المعصرة لركن حلوان، والطريق يمتد ويطول، وقد بلغ بنا الجهد مبلغه، إضافة إلى الجوع طبعًا.

وبقيت المسافة من ركن حلوان على النيل إلى داخل حلوان، حيث كانت نقطة النهاية حديقة كبيرة بجوار الـ«كابريتاج».

كانت تسمى زمان حديقة المطار، ثم حديقة 6 أكتوبر، ثم سوزان مبارك، ولا أعرف اسمها الآن.

المهم أطول مسافة سِرتُها في حياتي كلها، كانت تلك السبعة أو الثمانية كيلو متر الأخيرة.

كنّا نمشي ونحن نترنّح تقريبًا، وكأننا سكارى وما نحن بسكارى، ولكنه وعثاء الطريق.

يكفي أن أقول لأشرح الحالة: إنني كنت أنظر للعمارة عن بعد، فيخيّل لي أنها ترجع للخلف مع كل خطوة أتقدمها.

وعند مشارف الحديقة الكبيرة، دخلنا ونحن نكاد نزحف على بطوننا، وارتمى كل منّا على الأرض.

وصارت المجموعات تترى من كل صوب وحدب كلما دخلت فرقة ارتمت بجوار أختها.

وكان شكل الإخوة والإجهاد عليهم كأنهم أسرى حرب بعد معركة ضروس.

لدرجة أن أحد الإخوة اسمه الدكتور هشام كان معيد بطب القاهرة بقسم الباثولوجي.. تورم وجهه من حرارة الشمس والحساسية حتى أُغلقت عيناه تمامًا.

وذهب الإخوة لصيدلية قريبة، واشتروا أدوية للحساسية ومسكنات للألم.

ورقد كثير منهم على ظهره، بينما الآخرون يرفعون أقدامهم لأعلى لتقليل الاحتقان والتورم.

ورأينا مجموعة الدكتور عصام العريان تتقدم «الهوينا»، وهي تترنّح وتتأرجح.

ولكن فجأة وجدنا الدكتور عصام العريان ينتفض.. كأنما نشط من عقال.. ثم يُهرول ويعدو بكل قوة وسرعة ونشاط وهو يقطع الطريق من مدخل الحديقة لمكاننا تحت الشجرة..

ونحن ننفجر بالضحك؛ لأننا نعلم أنه يتحامل على نفسه، وأنه يكابد مثلما نكابد ويتألم مثلما نتألم.

ولكن كان هذا العدو في الخطوات الأخيرة من المشوار الطويل إشارة دعوية ودرس ربما جاء عفويًا.

جلسنا نتحدث عن عنترة بن شداد، وهو يشرح أن **الشجاعة صبر ساعة.**

وتذكرت أنا موقف في السيرة حدث مع النبي (ﷺ) وأصحابه وهم في عمرة القضاء، حيث جاؤوا من سفر طويل مجهدين وبدون تسليح كافٍ.

وأثناء السعي بين الصفا والمروة، كانوا يمرون بمنطقة مكشوفة، حيث يراهم الكفار من عند دار الندوة.

فكان توجيه النبي (ﷺ) لأصحابه:

«رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة».

فكانت هرولة الصحابة بين العلمين الأخضرين إشارة للكافرين بأن أصحاب محمد مازالوا في قوتهم وعزمهم، فلا تسوّل لهم أنفسهم الغدر بهم، وسارت لنا سنة ونسك بعد ذلك.

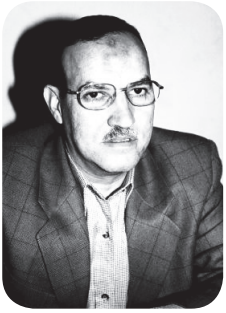

كانت خطوات عصام العريان الأخيرة بمنتهى القوة والشدة على ما به من تعب ومعاناة درسًا جديدًا أضفناه للرحلة الثريّة.

تعلمنا أن عزائم الرجال تظهر في الخطوات الأخيرة، وأن علو الهمة أن تدفع نقطة التعب ولو بضع لحظات زيادة.

رحم الله أخي الحبيب الدكتور عصام العريان.

الفصل الثالث

جماعة الإخوان المسلمين جماعة بشرية.. صحيح هي منهج الإسلام الوسطي المستنير، والعملي الواقعي، ولكن يقوم عليها أفراد؛ يُصيبون ويُخطئون، يلتزمون ويتفلتون..

وهذه طبيعة الأشياء، وتبقى الآفة فيمن لا يفصل بين: سمو المنهج وصحته، وسلوك الأفراد وتجاوزاتهم.

وتبقى الآفة في ربط الحق بالشخص أصاب أو أخطأ.. فتحدث الفتنة والبلبلة.

هذه مقدمة كان لابد منها وأنا أعرض لتلك الحلقة من ذكرياتي مع الدكتور الحبيب عصام العريان (رحمه الله).

ذات يوم، اتصل بي الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وطلب مقابلتي، فذهبت إليه في «باب اللوق»، حيث مقر إدارة الجمعية الطبية الإسلامية.

تلك الجمعية التي أسسها الدكتور أحمد الملط عام 1977م وتوسعت وانتشرت حتى تجاوزت عشرين مستشفى ومستوصف في أنحاء مصر.

وكان الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح يشغل منصب مدير مستشفيات الجمعية الطبية.

وعندما قابلته سألني عن أحوالي وظروف عملي.

فعرفته أنني - بحمد الله - أعمل طبيبًا في شركة بترول إيطالية وبراتب مجزٍ، حيث كان الراتب بالدولار، إضافة إلى حالة الراحة والوقت المتاح في الموقع.. أكل وشرب وقراءة ودراسة وميزات أخرى كثيرة.

فقال:

«طيب، كنا عاوزينك تستقيل من شغلك، وتمسك إدارة مستشفى الجمعية الطبية بحلوان (مستشفى الهدي الإسلامي).

فقلت: **تمام.. بكرة إن شاء الله.**

وهنا، دخل د. عصام العريان، فوجد الدكتور عبد المنعم يضحك.

فقال د.عبد المنعم لـ د. عصام:

«مش قلت لك.. لو قلنا لعلاء هنبعتك لكوالالمبور هيروح يجهز الشنطة من غير ما يسأل عن السبب».

فقال الدكتور عصام موجهًا كلامه لي:

«جزاك الله خيرًا .. ولكن مش تسأل عن المرتب وظروف الشغل .. وإن كان يتناسب مع حياتك وبيتك؟».

فقلت باقتضاب وبساطة:

«يعني مش هتفرق».

وقال له الدكتور عبد المنعم:

«إن راتبه في شركة البترول في حدود 2500 دولار شهريًا.. إضافة إلى بعض المميزات الأخرى».

فضحك الدكتور عصام العريان.. وقال:

«ده كده إحنا هندبحه».

ثم وجّه حديثه لي:

«هل تصدّق أن راتب مدير مستشفى قد الدنيا في الجمعية الطبية في حدود 300 جنيه فقط، واللي بيعوّض الدكتور إنه بيأخذ شفت في عيادة في تخصصه علشان تسند معاه في لقمة عيشه».

فقلت: ولكني سوف أتفرغ لإدارة المستشفى فقط حتى لا أتشتت بين الأمرين.

وهنا وجّه د. عصام حديثه لـ د. عبد المنعم قائلاً:

«يبقى لازم نراعي راتب الرجل الفدائي ده.. يعني مش أقل من 500 جنيه شهريًا بدال ما نموته من الجوع..وإذا كانت اللائحة لا تسمح.. نعطيه 300 جنيه أساسي ونضيف 200 تحت أي مسمى آخر.

أثناء استدعائي للمثول أمام «لجنة المعامل» بالجمعية الطبية الإسلامية، التي كنت أدير أحد فروعها، لشرح ملابسات قيامي بفصل أحد أطباء التحاليل، قال د. عصام العريان، وكان أحد أعضاء اللجنة:

«أنت مدير مستشفى، واتصرف بتجرد وحيادية وموضوعية.. مش هقول لا تفرق بين طبيب إخواني وغيره.. بل أقول لك: لو كان هناك تخصص ولم تجد له طبيبًا كفئًا إلا طبيبًا مسيحيًا قم بتعيينه فورًا، حتى لو كنّا جمعية طبية إسلامية.. العبرة بالكفاءة والخبرة والأمانة في العمل».

الحقيقة رغم الفرق الكبير جدًا بين راتب شركة البترول، والذي يزيد عشرة أضعاف عن راتب الجمعية الطبية بعد زيادته.

إلا أنني كنت سعيدًا وراضيًا بشعوري بأنني أعمل في مؤسسة إخوانية، وأقدم من خلالها الخير لأهل حلوان الكرام.

وأثناء إدارتي للمستشفى، حدثت لي مشكلة مع طبيب أخصائي في التحاليل الطبية.

وسوف أرمز لهذا الطبيب بالدكتور حسنين مثلاً.

كان الدكتور حسنين من الإخوان.. وكان أخًا فاضلاً.. يحفظ القرآن حفظًا جيدًا.. ويحفظ الأشعار والأقوال المأثورة والأدعية.

ولذلك كانت له مكانة مميزة وسط الإخوان، ودائمًا يتقدم الصفوف ويظهر في الإمامة والقيادة.

إضافة إلى أنه كان متفوقًا في مجاله الطبي أيضًا.

وكان أهم من كل هذا شبكة علاقات وطيدة بكبار الإخوان وقياداتهم.

المشكلة كانت أنه كان كثير المشاغل؛ يحضر للمختبر لدقائق يمر مرور الكرام، ويُوقّع على التحاليل التي قام بها الفنيّون.

وكان العمل بالمُختبر يقع على عاتق الفنيين الذين يبذلون الجهد والعرق والمعاناة، ولا يقبضون إلا راتب متواضع جدًا بالنسبة لجهدهم.

بينما إيراد المختبر كان يصب في صالح الطبيب، والذي يأخذ 40% من الدخل، والذي كان يتجاوز عدة آلاف.

وزاد الطين بلّة أن الدكتور حسنين كان مرتبطًا بعدة مختبرات في أماكن أخرى يلف عليها لدقائق، كما يفعل عندنا .

والحقيقة، لم يعجبني الوضع الذي يتسم بالغُبن الشديد .

ورغم كفاءة الفنيين، وثقتي في خبراتهم، ولكني طلبت من الدكتور حسنين التواجد لمدة ساعتين على الأقل، وأن يشرف بنفسه على التحاليل، ويتابع كفاءة الأجهزة والمعايرة، ومشاركة الفنيين مشكلات العمل.

وللأسف، لم يستجب الدكتور حسنين للأمر، واستمر في الاكتفاء بمرور الكرام، وحتى الوقت القليل الذي يحضر فيه أجده منشغلاً بالحديث في الهاتف، والحجّة أنه في أعمال دعوية.

هنا كان لابد من الحسم في الأمر.. وقمت بعمل ملف كامل للدكتور حسنين..

خاصة بعدما سمعت اللغط والهمس بين الموظفين عن تمييز الأطباء أو التمريض إذا كانوا من الإخوان، حيث إنهم يكتسبون حصانة ومكانة مميزة بغض النظر عن كفاءتهم في العمل، لدرجة أنهم أصبحوا يطلقون على مثل هؤلاء المحظوظين لقب (العائلة المالكة)!!

والحقيقة، كان يسوؤني مثل هذا التصور، وكنت أبذل جهدًا في نفيه، على الرغم من أني لا أنكر أنه كان أمرًا واقعًا للأسف.

ولذلك، قمت بالتعامل مع الدكتور حسنين بحسم وحزم؛ حتى لا أسمح بتواجد مراكز قوى بالمستشفى، وأرسخ قاعدة أن **تقدير الطبيب أو الممرض أو الفني بعمله وبذله داخل المؤسسة**، وليس لمكانته الدعوية في التنظيم.

وعندما يَئِست من ضبط أوضاع الدكتور حسنين بالمختبر والتزامه بالتواجد الفترات المطلوبة؛ قمت بإصدار قرار بإعفائه من العمل.

وهنا بدأت المواجهات العاصفة.. وكأنني وضعت أُصبعي في عش الدبابير.

وحدث معي تقريبًا القصة نفسها التي حدثت للشيخ محمد متولي الشعراوى عام 1978م، عندما كان وزيرًا للأوقاف؛ وذلك عندما واجه الرجل القوي سكرتير مجمع الشؤون الإسلامية «توفيق عويضة»، والذي كان متهمًا بالفساد، ولكنه كان مسنودًا من السادات شخصيًا، لدرجة أن الصحفي «مصطفى أمين» كتب متهكمًا:

«إن «توفيق عويضة» متهم بالفساد، ولكن ما من وزير أوقاف حاول التصدي له إلا تم إقصاؤه، وبقي توفيق عويضة في منصبه، ولكن الشعراوي نجح أخيرًا في عزله وإرساله للمحكمة».

المهم، بمجرد فصل الدكتور بدأت الاتصالات والمناشدات ثم التحذيرات والتهديدات، لدرجة أن أخًا حبيبًا قال لي مشفقًا: **كيف تجرؤ على فصل دكتور منه لمصطفى مشهور مباشرة؟**

فقلت غاضبًا:

«**والله لو منه لحامد أبو النصر شخصيًا.. الشغل شغل** (كان حامد أبو النصر مرشد الإخوان وقتها).

سأختصر الأحداث لأصل لموقف الدكتور عصام العريان في القضية..

ذهبت لإدارة المستشفيات، وقابلت رئيسي المباشر الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وشرحت له أسباب قراري وأثر المحسوبية لو استشرت بيننا.

وأذكر أنني قد قلت كلامًا كثيرًا وقتها عن خطورة ترك مثل هذه السلوكيات والتي هي آفات تنخر في مؤسساتنا الإخوانية لو استَشْرَت فسوف تفسدها، وقلت تعبيرًا طريفًا (**يعني سوف نتحول بمرور الوقت إلى حزب وطني ولكن بذقن**).

ولكن الدكتور عبد المنعم كان حريصًا على إرضاء الجميع، ويرفض فصل أحد؛ حتى لا يتأثر دخله ومعاش بيته.

وخروجًا من الأزمة، تم تحويل الموضوع برمته للجنة المعامل، ولجنة المعامل هي تجمّع لأطباء التحاليل يُعقد دوريًّا لأطباء الجمعية الطبيّة في تخصص التحاليل الطبية لرفع كفاءتهم، وكذلك تنسيق وتوزيع أماكنهم وجداولهم.

وبمرور الوقت، تحولت تلك اللجنة لحامي حمى أطباء التحاليل والمدافعة عن مصالحهم، وبتحويل الموضوع لتلك اللجنة

اعتقد الجميع أن القرار سيكون بعودة الدكتور حسنين لوظيفته وإلزامي بذلك.

وتم استدعائي للمثول أمام هذه اللجنة لشرح ملابسات فصل الدكتور، وقمت بالذهاب إليهم ومعي ملف الدكتور موثق بالمخالفات والإنذارات والشكاوى.

والحقيقة أن اللجنة، رغم أنها في الأصل للدفاع عن حقوق أعضائها من أطباء التحاليل الطبية، ولكن كان على رأس هذه اللجنة الأستاذ الدكتور أسامة رسلان - أستاذ الميكروبيولوجي بطب عين شمس.. وهو أخ فاضل وابن بلد جدع.. من النوع الذي لا يُجامل على حساب الحق..والدكتور الخلوق عصام عبد المحسن - عميد طب الأزهر فيما بعد - وطبعًا الدكتور عصام العريان.

وبعد عرض الموضوع، وحكيت لهم عن مراكز القوى التي ممكن أن تتغوّل في مستشفياتنا ومؤسساتنا، وكلام الموظفين عن حصانة «العائلة المالكة» من أفراد الإخوان..

وهنا انتفض الدكتور عصام العريان رافضًا لهذا الوضع، وقال: **«أنت مدير مستشفى، واتصرف بتجرد وحيادية وموضوعية.. مش هقول لا تفرق بين طبيب إخواني وغيره.. بل أقول لك: لو**

كان هناك تخصص ولم تجد له طبيبًا كفأ إلا طبيبًا مسيحيًا قم بتعيينه فورًا، حتى لو كنّا جمعية طبية إسلامية.. العبرة بالكفاءة والخبرة والأمانة في العمل».

وكانت كلمات الدكتور عصام العريان المُنصِفة هي الفيصل في قضية الدكتور حسنين.

غفر الله لأخي الحبيب الدكتور عصام العريان.. كان داعية.. يفقه الواقع.. ويُصلح نفسه.. ويدعو غيره.

الفصل الرابع

المقدمات لا تؤدي بالضرورة للنتائج المتوقعة

هذا الموقف كان عام 1988م.. وكان الدكتور عصام العريان عضوًا بمجلس الشعب في الفترة من 1987م إلى 1990م.

كنت أصلي الفجر بمسجد «مسروجة» بحلوان، ثم أبدأ في المشي من المسجد إلى الشوارع المحيطة حول محكمة حلوان والحديقة اليابانية ومستشفى حلوان العام حتى تشرق الشمس.

وكان يرافقني في الرحلة الصباحية أخي الحبيب الشهيد الدكتور ماجد أحمد يوسف - استشاري القلب، الذي قتله السيسي يوم فض رابعة.

كنا نتبادل الحديث والنقاشات في أمور الحياة والأوضاع بمصر والعالم.

الدكتور ماجد (رحمه الله) كان من النوعيات التي يطلقون عليها «ابن الناس الكويسين».. كان من أعلى الطبقات المتوسطة.. وهو بطبيعته كان (class).

أذكر أن الإخوة طلبوا مني التركيز عليه في الدعوة الفردية لأهميته الشديدة، فقد كان صاحب سيارة منذ أن كان طالبًا في الثانوية العامة.

طبعًا كانوا يذكرون هذه الأهمية على سبيل التندر، وهو نفسه كان يمازحني بقوله:

«**سيارتي سبقتني إلى الإخوان**».. فقد كنا (نمرمط) سيارته في كل شغلنا من نقل ضيوف أو مطبوعات أو دعاية انتخابية.

بينما هو كان يقول بتحفظ:

«**أنا مش معاكم في الإخوان**»..

وفي الوقت نفسه كان ينفذ وبمبادرة وإقبال كل ما يُطلب منه.

ولما فاض الكيل بي، قلت له:

«**إحنا مش بنشتغل بيافطة ولا كارنيه للجماعة.. مادام بتشتغل شغلنا.. أنت كده مننا**».. ونضحك.

المؤلف بصحبة الشيخ أحمد يوسف والد الشهيد الدكتور ماجد أحمد يوسف

المهم.. أثناء سيرنا في ذات صباح، تحدثنا عن أوضاع الشباب هذه الأيام، وكيف أن كثيرًا منهم يَحيَوْن حياة فارغة بلا هدف ولا رسالة.

فقال لي: **أنت لم ترَ (العيال الفافي) عندنا في النادي، وكيف يفكرون، وكيف يتصرفون.**

كان الدكتور ماجد وأسرته مشتركين في «نادي حلوان العام»، وهو يعتبر نسبيًا نادي الطبقة الموسرة بحلوان.

وأخبرني عن حالات التسيّب والتفلت، وضرب لي أمثلة أزعجتني.

فقلت له:

إيه رأيك نعمل ندوة بالنادي لأي مناسبة دينية، وأحضر للحديث لهؤلاء الشباب.

فقال:

«**محدش سيوافق.. مجلس إدارة النادي سيرفض**».

ثم اقترحت ندوة صحية.. أو أسرية.. ثم استقر الأمر على عقد «ندوة عن المخدرات وأثرها على الشباب».

وبحثنا عن واجهة رسمية ممكن من خلالها نعقد الندوة؛ فقلت له: «**أخبرهم في النادي بأن هذا نشاط ستقوم به نقابة الأطباء**»، وأنهم سوف يرسلون أطباء لعقد الندوة.

وأخبرت ماجد بأني سأحاول دعوة الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح أو الدكتور عصام العريان.

وحدّدنا الموعد بأنه سيكون يوم خميس بعد صلاة المغرب.

وأردت أن أقابل الدكتور عصام العريان للاتفاق معه على حضور الندوة، وأيضًا نعتبرها بداية لوضع قدم لنا في المكان.

لم يكن الاختراع السحري (الموبايل) قد ظهر بعد.. والاتصالات الهاتفية متعذرة.

ولكن قلت إن البداية تكون من «باب اللوق»، حيث علمت أن الدكتور عصام سيكون في إدارة الجمعية الطبية لمقابلة مهندس صيانة أعرفه.

وبمجرد أن دخلت مقر الإدارة قالوا لي: الدكتور عصام كان هنا فعلاً، ولكنه انصرف منذ قليل، وقال إنه متوجه للنقابة.

وذهبت لنقابة الأطباء، وسألت عنه، فقالوا: فعلاً، هو كان هنا، وقابل فلان وفلان، ثم انصرف.

فذهبت إليهما وسألتهما عنه، فقالوا:

«**عنده موعد في التوفيقية، وحاول تلحقه؛ لأنه مش بيقعد كثير**

(كانت التوفيقية تعني مقر جماعة الإخوان قبل انتقالها للمنيل، ثم للمقطم بعد ثورة 25 يناير).

مقر جماعة الإخوان المسلمين بالتوفيقية

وعندما ذهبت قالوا: فعلاً الدكتور عصام حضر، ولكن لم يجلس طويلاً؛ لأن عنده جلسة بمجلس الشعب وصعب تقابله.

وكان لي ود مع أخ بالمقر اسمه إبراهيم شرف (رحمه الله)، فهمس في أذني:

«لو كانت المقابلة مع الدكتور عصام مهمة جدًا أدلك على أحسن طريقة.. اليوم بعد العشاء عنده لقاء في المسجد الكبير في (ناهيا) - وناهيا هذه قرية في محافظة الجيزة.. هي مسقط رأسه...

فقال إبراهيم شرف:

«صلِّ العشاء في ناهيا، وكلّمه بعد المحاضرة، أو صلِّ الفجر معه في مسجد كذا بجوار بيته في الطالبية (قبل انتقاله إلى 6 أكتوبر).

ولما أُسقِط في يدي، اتصلت بأخ فاضل يعمل «محاسب في إدارة الجمعية الطبية في باب اللوق»، وعرفت منه موعد حضور الدكتور عصام، وقررت الذهاب قبل الموعد.

الحقيقة أخذت أفكر في الحياة المَكوكية التي يعيشها د. عصام.. كيف يُوفّق بين كل هذه اللقاءات والأنشطة؟

متى يقرأ؟

ومتى يُحضِّر للدروس؟

ومتى يعمل ليكسب عيشه؟

وكيف يُعطي كل نشاط من هذه الأنشطة المختلفة والمتعارضة كامل تركيزه وإجادته وكأنه متفرغ لهذا اللون فقط.. وبدون تقصير في عبادته وأذكاره وصلواته؟

عصام العريان وبإيجاز كان يذكرني بالرجل من السلف الصالح (حمّاد بن سلمة).. والذي لو قالوا له إنك تموت غدًا ما استطاع أن يزيد في عمله شيئًا، وكنت أُسمي مثل هؤلاء «full capacity».

وبحمد الله، استطعت أخيرًا مقابلة الدكتور عصام العريان في باب اللوق، وكان حوله زحام من الأشخاص، فقلت له:

«أريدك في أمر على انفراد»..

فضحك وقال:

«الانفراد.. يبقى تيجي معايا».

ونزل من المقر ومعه بضعة شباب ورجل متقدم في السن، ثم التفت إليّ قائلاً:

«لا تقلق، سأفرغ لك حالاً».

وقال لي:

«طبعًا أنت شايف إن السيارات أكثر من الناس، وأصبح ركن السيارة في وسط البلد من المستحيلات.. أنا أضع سيارتي في

جراح المجلس، ثم أقضي كل مشاويري سيرًا على الأقدام، منها تريّض ومنها قضاء مصالح، كما يحدث الآن، ومنها تسميع لحفظي من القرآن».

فضحكت، وقلت له:

«أنت هتعمل زى الإمام النووي عندما احتسب الوقت الضائع في مضغ الخبز وقضمه فطلب من أمه أن تطحن له الخبز ليأخذه سفوفًا توفيرًا لوقت المضغ»..

وفعلاً، أثناء السير من باب اللوق لمقر مجلس الشعب كان الدكتور قد أنهى مطالب الشابين الذين معه وانصرفا، ثم تحدث إلى الرجل المتقدم في السن، الذي علمت أنه كان وكيل وزارة مهم بوزارة البترول والثروة المعدنية، وحدثت مشاكل بينه وبين الوزير الأسبق، ولما خرج إلى المعاش، فوجئ بأن معاشه منتقص؛ لأنهم لم يضيفوا لخدمته فترة كان معارًا فيها للكويت فسقطت رغم تسديده للتأمينات.

ولما اشتكى في وزارته قالوا له: أنت الآن تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية.

ولذلك ذهب لعصام العريان ليحدث الدكتورة آمال عثمان بخصوصه، وكانت ساعتها وزيرة التأمينات والشؤون الاجتماعية فوعده خيرًا، ثم انصرف الرجل.

فقلت للدكتور عصام:

«تفتكر الدكتورة آمال عثمان، سوف تستجيب لك وتسهل أمر معاش الرجل».

فقال:

«الحمد لله، احنا بعيدًا عن المواقف الحزبية والخلافات السياسية علاقتنا كويسة قوى مع الجميع وهما كمان بيتعاملوا معانا باحترام وتقدير كبير طالما مفيش توجيهات من فوق لهم بخلاف ذلك».

ثم ذكر لي حديثًا طويلاً عن تقريظ الدكتور رفعت المحجوب له وإعجابه بشباب الإخوان على خلافه المعهود معهم.. وأيضًا ذكر شيئًا عن يوسف والي، وأسامة الباز، وقال:

«دول ناس ممكن التفاهم معهم.. أما فلان وفلان.. فلا أمل فيهم..». وقد صدق حدسه فيما بعد.

وعندما اقتربنا من بوابة مجلس الشعب ودّعته بعد أن حدّدت معه موعدًا للحضور لحلوان يوم خميس بعد المغرب.

ولاحظت عند دخوله للمجلس إقباله بود وبشاشة على طاقم الحراسة بالمدخل، وهم يتقاطرون عليه للسلام والتحية.

وفي اليوم المتفق عليه، ذهبت للنادي بعد العصر، حيث استقبلني الدكتور ماجد ومعه بعض الإخوة.. جزاهم الله خيرًا، حيث أعدّوا مكانًا لائقًا لندوة كبيرة، وعلمت بعد ذلك أن ماجد وإخوانه هم من دفعوا تكلفة التجهيزات وإحضار الكراسي والمشروبات، وتجهيز منصة معقولة.

وقُبَيل المغرب، حضر الدكتور عصام العريان في موعده، ومعه بعض الإخوة، وقال: «**قبل البدء نصلى المغرب إن شاء الله**».

وللأسف، فوجئنا بعدم وجود مسجد بالنادي؛ فقمنا على الفور بفرش بعض الأقمشة وسجاد الفراشة على الأرض وبدأنا الصلاة.

وأذكر أنني أثناء الصلاة سمعت بأذني سيدة تمر من خلفنا تقول: «.. **ما شاء الله.. والله عشنا وشفنا ناس بتصلي في النادي جماعة**».

هذه الجملة العابرة تُشير للوضع المؤسف الذي كان عليه شباب النادي وقتها.

أما الأمر المحرج حقًا، فهو ما حدث بعد الصلاة.

توجهنا لمكان الندوة، فوجدناها خاوية على عروشها؛ الكراسي المرصوصة بالمئات شاغرة تمامًا.

وليس هناك أحد إلا ماجد وخمسة شباب معه، والدكتور عصام، ومعه شابان أو ثلاثة.

وكان وجه الدكتور ماجد يحمرّ خجلاً ويتصبّب عرقًا، وكأنه مسؤول عن إحجام الشباب.. واعتذرت للدكتور عصام بأنني لم أتوقع هذه السلبية وعدم الاعتناء بالحضور.

ولكن الدكتور عصام خفّف عنّا الموقف، وظل يُسرِّي عن الدكتور ماجد، وقال له:

«ولا يهمك.. إحنا ياما روحنا أماكن وكنا بنقعد نكلم نفسنا فقط.. يعني لو حضر واحد أو اثنين إن شاء الله هنكمل ويبقى كسبنا زيارتكم».

وصعد الدكتور عصام على المنصة، وبدأ أحد الإخوة في تلاوة بعض الآيات القرآنية، وعلى الأثر حضر أحد المسؤولين - أعتقد وكيل النادي على ما أذكر.. ثم أخذ الميكروفون، وظل يتحدث عن

النادي ومجلس إدارته وحرصهم على تقديم الأنشطة النافعة للأعضاء.

كل هذا وأنا أنظر من حولي، وأعدّ الجالسين من الإخوة، الذين انضم إليهم عدد قليل ممن كانوا يمرّون بجوارنا عَفوًا.

وبدأ الدكتور عصام الحديث، وكان عن المخدرات والمُسكِرات وكل ما يغيّب العقل.

وبذكاء شديد، بدأ ينحى منحًى جديدًا بإلقاء الطُّرَف والقصص المضحكة عن نوادر المخدرات، وكيف تفعل بأصحابها وكأنه يتحدث عن نكت للمسطولين.

وبدأ الشباب الجالس يتجاوب معه بالتبسّم ثم الضحك ثم القهقهة، والتي بدأت تجلب أعضاء النادي من شباب ورجال ونساء للمكان.

وبدأت الكراسي تمتلئ، والعبء الذي على صدري يزول رويدًا رويدًا.

وقبيل الختام، كانت كل الكراسي التي تقارب 500 مقعد قد شُغِلت، وبدأ الإخوة في جلب المزيد للنساء الواقفات، والزحام يزداد تدريجيًا حتى أصبح النادي كله تقريبًا في الندوة.

فقلت: لعلها بركة الإخلاص والصدق مع الله.

وفي ختام الندوة، تسابق الأعضاء ومجلس الإدارة في إزكاء المديح للدكتور اللبِق المفوّه عصام العريان، ويطلبون منه بإلحاح أن يُعيد الكرّة، ويحضر للنادي مرات ومرات أخرى.

الحقيقة كان أهم درس من هذا الموقف: **أن المقدمات لا تؤدي بالضرورة للنتائج المنتظرة، المهم النية والعزم والعمل.**

ودائمًا أذكر موقف سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وهو يقف منفردًا في صحراء قاحلة،

ويستجيب لأمر الله ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ (الحج: 27)،

فيقول: «يارب ومن يسمعني في هذه الصحراء الجرداء؟

فيقول له: عليك النداء وعلينا البلاغ.

المهم أن نبدأ ونعقد العزم، ولو بأقل المتاح.

رحم الله أخي الحبيب عصام العريان الذي غرس في النفوس غرسًا سوف يجني المستقبل ثماره.

الفصل الخامس

كان الأستاذ سيد نزيلي (رحمه الله) في عمرة والتقيت به في مكة المكرمة.. وذهبنا لتناول العشاء في بيت أحد الإخوة.

وسيد نزيلي كان من قيادات الإخوان المسلمين التاريخية بالجيزة، وهو صاحب الحادثة الشهيرة بقرية كرداسة عندما هجمت الشرطة العسكرية عام 1965م على منزله، وحاولت الاعتداء على زوجته، وكانت عروسًا جديدة.

فقام أهل البلد للدفاع عنها، ونالهم من جيش عبد الحكيم عامر ما نالهم بعد ذلك مما سجله التاريخ الأسود للطواغيت، وسجّلته أحكام المحاكم عن تلك الفترة الحالكة السواد.

الحاج السيد نزيلي(رحمه الله)

وأثناء تناول العشاء، كنت أسأل الأستاذ سيد نزيلي عن تفاصيل بعض الأحداث التي قرأت عنها.

ولاحظت أنه يتحدث ببطء، ويفكر كثيرًا في اختيار اللفظ المناسب لكل جملة.

الحقيقة.. لقد لاحظت هذه التؤدة والهدوء والتمهل الشديد في انتقاء الكلمة عند بعض الأشخاص من الرعيل الأول من الإخوان.

فكل من تعامل مع الأستاذ مصطفى مشهور أو أحمد حسنين (النظام الخاص) أو محمد العدوي (المنصورة) أو منّاع القطان (الرياض) فسوف يلحظ نفس ما ذكرته.

لدرجة أن اللواء فؤاد علام أفرد فصلاً في كتابه «أنا والإخوان» للأستاذ مصطفى مشهور تحت عنوان «صقر الإخوان».. قال فيه: «**كنت إذا سألته عن اسمه فكّر كثيرًا وتمهّل قبل أن يجيب**».

هذه الطريقة في التؤدة والتروّي والتريّث في انتقاء كل كلمة تختلف مثلاً عن طريقة الشيخ صلاح أبو إسماعيل (رحمه الله)

الذي ما يبدأ محاضرته أو خطبته إلا وكأنه سيل يسقط من علٍ.. ومن سمع للشيخ محمود عيد – خطيب إسكندرية المفوه – سيلحظ أنه أيضًا كالسيل الهادر.. يعدو ولا يلوي على شيء.

المهم، سألت الأستاذ سيد نزيلي عن تلك الطريقة الهادئة في الحديث، وهل هي ميراث التحقيقات والأسئلة والأجوبة أثناء الاعتقالات.. مما جعلت الأخ حريصًا وكيّسًا في إخراج المعلومة؟

فقال:

ربما.. ولكن من وجهة نظري أن المدة الطويلة التي قضيناها في السجون، وتعامل الإخوان اليومي بعضهم مع بعض وهم تحت ضغوط نفسية هائلة.. جعلت كل أخ يتلّمس كلماته ويتحرّى اللفظ وأثره على أخيه؛ بحيث لا يُسبب له أذى أو مضايقة.

وقال:

نحن بشر.. ووقوعنا تحت ضغوط السجن والتنكيل والظلم والقلق على أحوال أسرنا ومستقبل أولادنا لابد وأن له أثرًا فينا، لولا الاعتصام بالله واللجوء إليه ومصابرة الأخ لأخيه..

مثلاً الدكتور عصام العريان وهو المشهور بدماثة الطباع وهدوء النفس وحبه لإخوانه تشاجر مع الأخ فلان (وهو قيادي كبير السن والمقام وله وضع اجتماعي مميز).

د. عصام في المعتقل

والحكاية أن هذا الأخ كان عليه «نوباتجية» النظافة للزنزانة في هذا اليوم، وكان يمسك بالمقشة ويكنس الزنزانة وقد علا الغبار وتفصّد منه العرق، وفي هذه الأثناء جاء العسكري ونادى على الأخ، وقال .. فلان له زيارة الآن.

فقام عصام العريان وقال للأخ:

اترك لي المكنسة وأنا سأكمل التنظيف، واذهب أنت لتغتسل وتغيّر ملابسك.

فرفض الأخ، وقال:

بل سأكمل تنظيف الزنزانة أولاً ثم أذهب للزيارة.

وبدأت النقاشات تحتدّ بينهما..

وقال عصام العريان:

زوجتك وبناتك في شوق لرؤياك.. وأنت يجب أن تكون في أفضل حال في شكلك وملابسك عندما تقابلهم.

والأخ يقول:

مادام أنا عليا النظافة اليوم مفيش أحد غيري هينظف.

وارتفعت الأصوات، وأول مرة نرى الأخ عصام يحتدّ ويغضب، لدرجة أنه هجم على الأخ وانتزع منه المكنسة بقوة، وقال:

أنا قلت أنا اللي هكمل تنظيف.. اتفضل روح استحمى..

ثم وجّه كلامه لأخ آخر، وقال له:

يا فلان، جهّز لأخيك ثوبه، وتأكّد أنه مكوي كويس، وشوف له العطر فين.

واستطرد سيد نزيلي حديثه قائلاً:

فوجئنا بالأخ وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يتحرك بانكسار وحزن، فلم يكن يتوقع من عصام العريان أن يهجم عليه ويختطف منه «المقشة» بمثل هذا العنف.

وذهب الأخ واغتسل، ثم خرج لزيارة أسرته، وعندما عاد كان مازال متأثرًا وحزينًا.

وعبثًا حاول عصام العريان ملاطفته والاعتذار له عما بدر منه.. وأنه كان حريصًا على مظهر الأخ ووجاهته أمام الزوجة والبنات اللاتي أتين متشوقات لرؤيته.

ولكن يبدو أن حساسية الموقف جعلت الأخ يرفض المصالحة وانتحى جانبًا.

هنا جاء أحد الإخوة الأزهريين من «بهرمس» بالجيزة، وكان إمام مسجد وخفيف الظل وله «قفشات ونكت».

فقال للأخ الـ«زعلان»:

«إيه يا عم، أنت مكبر الموضوع كده ليه.. الدكتور عصام لا يقصد إهانة، ده من حبه فيك يا أخي».

فقال:

وهل من حبّه فيّ يشد من يدي المقشة وأنا أكبر منه سنًّا ويصر أنه يكنس غصبًا عني؟.. هو ده الاحترام بين الأخ وأخيه؟

فقال الأخ الأزهري بسرعة بديهة:

«يعني هو الدكتور عصام عمل أكثر من سيدنا موسى لما رمى الألواح اللي فيها كلام ربنا على الأرض، وجرجر أخاه من ذقنه وشده من رأسه؟!.

وبعدين سيدنا هارون لما عاتبه مش قاله يا أخي ليه بتعمل كده.. ده قال له: **يا ابن أم**.. تلطيفًا للعلاقة بينهما.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾

فضحك الإخوة على المفارقة، وقام الدكتور عصام العريان وقبّل رأس الأخ قائلاً:

أنا مش هشد ذقنك.. أنا هقبّل رأسك.. وقوم بقى ورينا إيه اللي جالك في الزيارة النهاردة.

رحم الله من رحل من الإخوان، وفك الله أسر المعتقلين منهم. وحفظ الله دعوتنا.. وثبّتنا على الحق، وأحسن خاتمتنا.

الفصل السادس

نقابة أطباء مصر
من دكان للوجاهة إلى قلعة للحريات

كـــان عـــام 1984م عـــامًا مشـــهودًا في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين بمصر.

فقد كان مرشد الجماعة الأستاذ عمر التلمساني يسعى منذ توليه المنصب لتحقيق هدف واحد، هو إعادة تطبيع علاقة الإخوان المسلمين بمؤسسات الدولة المصرية وهيئاتها، وتصحيح التشويه والدعاية السوداء التي طاردت الجماعة على مدى عقدين من الزمان في الحقبة الناصرية وحتى خروج الإخوان من المعتقلات.

مثلاً، أذكر أنه غضب يومًا عندما فكّر الإخوان في ترشيح أخ محامٍ معروف في انتخابات نقابة المحامين، ثم فوجئوا بأن

الأستاذ عمر التلمساني (رحمه الله)

الأمر تعذّر؛ لأن الأخ منذ سنوات مقاطع النقابة، ولم يدفع رسوم تجديد اشتراكه.

فكان يقول:

«بغض النظر عن الانتخابات واجب على كل أخ الالتزام بالمؤسسة أو الهيئة أو حتى النادي الذي يشترك فيه.. إحنا بنمارس الدعوة بين الناس.. مش في المريخ.. وتواجدنا بينهم لازم يبقى طبيعي ورسمي».

وكان عام 1984م نقطة تحول؛ لأنه العام الذي دخلوا فيه البرلمان لأول مرة وهم يحملون راية الإخوان، ويدخلون بصفتهم هذه.

كان تاريخ الإخوان مع البرلمان في محاولتين أيّام حسن البنا، والذي رشّح نفسه عام 1942م، ثم انسحب بعد جلسة تفاوضية مع مصطفى النحاس باشا.. وافق فيها النحاس على ما طلبه البنا من أمور على رأسها إلغاء دور البغاء من مصر.

والمرة الثانية كانت عام 1944م عندما قامت حكومة أحمد ماهر باشا بالتزوير الفج لانتخابات الإسماعيلية استجابة لأمر الإنجليز.

الشيخ صلاح أبو إسماعيل (رحمه الله)

وكانت أول مرة يدخل فيها إخواني البرلمان بعد يوليه 1952م هو الشيخ صلاح أبو إسماعيل والد الشيخ حازم، وذلك عام 1976م .. وكان دخوله بشخصه وعائلته في بهرمس بالجيزة أكثر منه كونه من التيار الإسلامي.

ثم نجح الشيخ صلاح أبو إسماعيل والأستاذ حسن الجمل عام 1979م، وشكّلا نواة للتيار الإسلامي ونجحا في إدراج تقنين للشريعة الإسلامية، والتي كانت في حوزة صوفي أبو طالب – رئيس مجلس الشعب.

وجاء عام 1984م، ليكون بزوغ نجم الإخوان في البرلمان والنقابات. كان الحزب الوطني الديمقراطي يمسك بزمام الانتخابات، ويوزع الأدوار بينه وبين المعارضة بحساباته هو.

وكان في الساحة حزب الوفد برئاسة «فؤاد باشا سراج الدين» وحزب العمل الاشتراكي برئاسة «إبراهيم شكري».

وكانت لعبة «كمال الشاذلي» حاجة اسمها «القائمة المطلقة».. وتعني أن الحزب الذي يحصد مقاعد في البرلمان، ولا يصل إلى 8% من مجموعها يسقط ويتم توزيع مقاعده على الأحزاب الفائزة بنسبة مقاعدها.

ولأن فؤاد باشا كان سياسيًا مخضرمًا، فقد «حسبها صح»، وعلم أن مغامرة دخوله الانتخابات بدون ظهير شعبي مثل جماعة الإخوان سوف يَحرمه من أي مقعد يفوز به لصعوبة تجاوز النسبة المقررة كحد أدنى.

وتم عقد تحالف انتخابي عام 1984م بين الوفد والإخوان، ولأنني كنت متفرغًا تمامًا للحملة الانتخابية ومقيمًا تقريبًا في المنيل عند الحاج حسن الجمل، فعندي تفاصيل ما جرى في هذه الانتخابات، وسأفرغ لها وقتًا لاحقًا.

ونجح حزب الوفد في اجتياز عقبة الـ 8%، ونجح لأول مرة ستة من الإخوان الأقحاح.

نجحوا بصفتهم إخوانًا مسلمين، وشكّلوا أول كتلة برلمانية للإخوان في تاريخ البرلمان المصري، وهم:

الحاج حسني عبد الباقي المليحي
الأستاذ محمد المراغي
الأستاذ محفوظ حلمي
الحاج حسن الجمل
الأستاذ محمد الششتاني
والأستاذ حسن جودة

الحاج حسن الجمل

الحاج حسن جودة

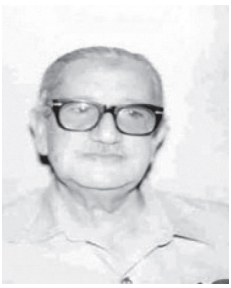
الحاج حسني عبد الباقي

هؤلاء الستة لا يمكن أنسى أسماءهم رغم مرور 36 سنة على نجاحهم؛ لأنه كان حلمًا تحقق، وأملاً كنا نراه بعيد المنال.

وللأسف، سقط حزب العمل برئاسة المجاهد الوطني إبراهيم شكري (الشهيد الحي).. رغم حصول حزبه على 7.9% من مجموع أصوات الجمهورية، وتم توزيع حصته على الحزبين الوطني والوفد (نسبة وتناسب).

وحدث في هذه السنة أيضًا (1984م) أن دخل الإخوان لأول مرة النقابات المهنية، وكانت مَوقعة نقابة الأطباء، والتي ساهم

د. أشرف عبد الغفار

فيها الدكتور عصام العريان والدكتور أشرف عبد الغفار بجهد مشكور رغم أنهما لم يكونا مرشحين فيها.

كانت أول مرة فى تاريخ النقابات يتقدم في الترشيح مجموعة أطباء في قائمة مشتركة.

وكان الأمر مثار استخفاف واستهجان ورفض من بعض الأطباء محترفي الانتخابات النقابية الهزيلة، والذين أدمنوا التشبث بمقاعد النقابة كواجهة اجتماعية.. وعلاقات انتفاعية.

كانت انتخابات «تجديد نصفي» لمجالس النقابة وانتخاب نقيب جديد بعد استنفاذ الدكتور المحبوب صاحب الشعبية حمدي السيد - أستاذ القلب - مدته وهي دورتان متتاليتان.

ودخل الإخوان الانتخابات، وهم يدعمون الأستاذ الدكتور ممدوح جبر - أستاذ طب الأطفال - نقيبًا للأطباء.

أما القائمة الإخوانية، فكانت مكوّنة من ثلاثة أطباء كبار السن (تخرجوا من أكثر من 15 سنة)، وكانوا محبين للإخوان مثل: «يحي طموم، والدماطي».

أما الأطباء الشبان فكانوا إخوان خُلَّص، وهم: «د. عبد الناصر صقر، ود.أحمد إمام، ود. عبد المنعم أبو الفتوح».

كما دُفِع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح لترشيح آخر وهو عضوية نقابة أطباء القاهرة الفرعية عن العامة.

وكانت الانتخابات يوم الجمعة، ومنذ الصباح الباكر ونحن منتشرون على سلم النقابة وفي الشوارع حولها، وفي الحديقة الخلفية عند اتحاد المهن الطبية.

وكان الأطباء المخضرمون السابقون في النقابة يتحرشون بنا، ويتطاولون علينا وعلى بدعة القائمة المشتركة التي كانت خرقًا في العمل النقابي.

وكان د.عصام العريان ود. حلمي الجزار ود.أحمد عمر مثل النحل حركة ودأب ونشاط، يدخلون حجرة بالنقابة ويخرجون مُحملين بالتعليمات الجديدة والتوجيهات، ويوزعون علينا أوراق الدعاية الانتخابية والبيانات التي تُستجد.

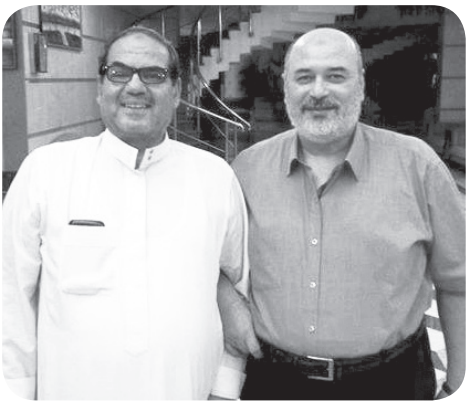

المؤلف بصحبة الدكتور أحمد عمر

د. حلمي الجزار

د. عصام العريان

شعرت أن العقل المدّبر للعملية بالكامل يقبع داخل هذه الغرفة.. وأنها غرفة العمليات الحقيقية للحركة كلها.

وبدافع الفضول، دخلت الغرفة فوجدت شابًا جالسًا على مائدة وحوله أوراق كثيرة.. وأرقام وكشوف وكل بضع دقائق يتصل بالتليفون، ويدلي بتصريحات لأحد ما بالخارج.

ودخل عليه الدكتور عبد الناصر صقر، وهو جهوري الصوت وقال بلهجة أولاد البلد: «**الوضع ماشي إزاى يا عبعازيز** (يقصد عبد العزيز)».

فظننت أن الدكتور اسمه عبد العزيز، وظللت أناديه بهذا الاسم مدة حتى تنبّهت أنه اسم ساخر استوحاه الإخوة من «كاريكاتير» مشهور للرسام «مصطفى حسين» عن أحد المقاولين المرشحين للانتخابات، وأحيانًا يرمز له بـ«عبده مشتاق»، وهو يُخاطب رئيس حملته الانتخابية عبد العزيز (عبعازيز).

وكان عبد العزيز هذا هو الدكتور أشرف عبد الغفار، الذي أعتقد أنه أمضى ثلاثة أيام مستيقظًا يتابع كل صغيرة وكبيرة في الحركة الانتخابية.

وبعد ظهور النتيجة وفوز قائمة الإخوان ارتمى على «كنبة» بالحجرة لينال قسطًا من النوم.

كان يومًا الجمعة والسبت مَلحمةً لطالما تمنّيت تسجيل تفاصيلها، التي مازالت معلّقة بذهني رغم مرور كل تلك السنوات.

مثلاً، كنا حريصين على التواجد بكثافة على سلم النقابة والشارع وحول المبنى ونحن نحمل اللافتات ونوزع الدعاية الانتخابية.

وكان الجانب الآخر يحاول استفزازنا بالكلام وأحيانًا بدفعنا.. والسخرية منا:

«أنتم إيه اللي حشركم في الانتخابات.. ما تروحوا تصلوا الجمعة أحسن لكم».

ومعروف عن جماعة الإخوان دقة التنظيم والتحرك بترتيب .. لا عشوائية فيه.

جاءت الأوامر من الغرفة التي تدير «ماكينة اليوم» بأن يذهب نصفنا خلف النقابة، حيث حديقة اتحاد المهن الطبية (في مكان مشروع علاج الأطباء الآن)، حيث تم فرش الأرض وأُذّن للصلاة، ووقف الدكتور عصام العريان خطيبًا في كلمات موجزة، وقال: **«إننا اليوم في جهاد لا يقل عن الصلاة والصيام، وصلاتنا اليوم أشبه بصلاة الخوف.. فلتقم طائفة منهم معك.. والطائفة التي لم تصلّ معنا سيذهبون للمسجد المجاور لأداء صلاة الجمعة بعد أن نستلم مواقعهم».**

كانت كلماته الحماسية تُشعرنا بأننا في خِضَم معركة لإعلاء كلمة الله في محفل جديد، وليست مجرد انتخابات نقابية.

وبعد الصلاة التي استغرقت عشر دقائق فقط، هرولنا لمواقعنا، واستلمنا الأماكن من إخواننا المرابطين، وذهبوا هم يُهرولون للمسجد.

أذكر أن أحد البلطجية، وكان تابعًا لدكتور معروف اسمه سيد الفولي، كان أستاذًا للأنف والأذن والحنجرة (ورغم خصومته للإخوان كان مهذبًا ودودًا).. أما البلطجي (ويبدو أنه من حريفة الانتخابات)، فقد كان يضرب كفًّا بكف، ويقول: «**هو أنتم مالكوش حل خالص**».

وبمرور الوقت، كانت أعدادنا في زيادة وكثافة، وربما كنا أضعاف الأطباء الناخبين.

فقد جاءت الأوامر من الغرفة أيضًا، والتي أُطلق عليها العقل المدبر بتنفيذ الآتي:

أولاً- كل أخ أو أخت يقف في الشارع على مقربة من المكان، وبمجرد مشاهدته لطبيب أو طبيبة يتقدم إليه ولا يكتفي بإعطائه ورقة دعاية، بل يلازمه بالحديث شفاهة وبلطف عن أهمية صوته وضرورة المعاونة في تغيير وضع النقابة المتردي.

ثانيًا- كل أخ يأتي زميل له أو له معرفة به ويثق به يطلب منه ألا يغادر بعد أدائه لصوته، بل يدعم صفوف الأخوة، ويشارك معهم في توزيع الدعاية.. ولذلك كانت الأعداد تتزايد مع مرور الوقت.

ثالثًا- من يعرف رقم تليفون زميل يتصل به ويدعوه للحضور؛ لأن الصوت الواحد يفرق.

وأذكر أن أختًا منتقبة حضرت في اللحظات الأخيرة، وكانت لا تعرف مكان صندوقها الانتخابي، والله رأيت د.حلمي الجزار - وأنا أعرف جيدًا بعضًا من مشاكله الصحية التي تجعله يُصاب بالإجهاد - وهو يقفز ويُهرول والأخت من خلفه، ويطلب توسيع الطريق لها ويصرخ: «**تعالي يا أختي.. إتفضلي.. إتفضلي يا أختي**».. والله وكأن نجاح القائمة متوقف على هذا الصوت فقط.

وأثناء وقوفنا أيضًا، لاحظنا عدة أتوبيسات تقف بالقرب منّا وينزل منها أطباء وطبيبات مسيحيين وعلمنا أنهم تجمعوا عند الكنيسة.

الشيخ أسامة عبد العظيم

وكان هذا فاتحة خير، فقد لاحظ المشهد أحد الأطباء من السلفيين، وذهب لصلاة الجمعة عند الشيخ أسامة عبد العظيم، ذلك السلفي المجاهد العالم بحق، وأخبره بالمشهد.

مما جعل الشيخ أسامة عبد العظيم يحث من حضر للصلاة من الإخوة والأخوات الأطباء بضرورة دعم إخوانهم والذهاب لنقابة الأطباء والمشاركة.

وفعلاً لاحظنا بعد صلاة العصر مجموعات من هؤلاء الأطباء الذين يرتدون الأثواب البيضاء ومعهم طبيبات منتقبات يلبسن السواد.. ومازلت أذكر بإكبار للعالم الجليل الفاضل الدكتور أسامة عبد العظيم هذا الموقف إلى اليوم.

وبعد انتهاء الماراثون الانتخابي الطويل، بدأ الناس ينفضّون، ولكن شباب الإخوان – بارك الله فيهم – بقوا في مواقعهم.

وتم تجميع الصناديق في فناء النقابة الداخلي، وتجمّع المرشحون ومعاونوهم في المدرج.

وكان النظام وقتها أن المشرف على العملية الانتخابية وفرز الأصوات لجنة مُشكلة من نقابة الأطباء القدامى، والذين يستكمل بهم المجلس من الأعضاء الجدد.

وكان الرئيس المُشرف دكتور مهذب اسمه عز الدين حشيش – على ما أذكر.

وكان في المدرج بعض الأطباء اليساريين ممن نعرفهم من زمان.. منهم من كان معنا في ليمان طرة.. ومنهم أعضاء معروفون في حزب التجمع الذي يرأسه خالد محي الدين، وكانوا يشاغبون ويثيرون اللغط.

ولانتظام عملية الفرز، قام الدكتور عز الدين حشيش باختيار مندوبين عن مختلف التوجهات وبعدد اثنين لكل صندوق..

وكان منهم عدة أطباء بالجيش منهم لواء طبيب عظام بمستشفى القوات المسلحة كان يكثر من «القفشات» والتعليقات الساخرة، ويتعامل مع الدكتور عصام العريان بتوقير واحترام حقيقي..

أذكر أن اسمه اللواء عثمان الخواص – استشاري عظام.

وتم اختيار الدكتور عصام العريان والدكتور حلمي الجزار في لجنة الفرز وأخ ثالث لا يحضرني اسمه.

وهنا، وشهادة لله وللتاريخ، وقف طبيبان شيوعيان؛ أحدهما الدكتور زكي، الذي أصبح فيما بعد أستاذًا للقلب بمستشفى الحسين الجامعي وكان معي وهو طالب بكالوريوس في ليمان طرة.. والطبيب الآخر اسمه علي (وكان يحفظ بعض القرآن)،

فكان الدكتور أحمد عمر يسميه الأخ علي الشيوعي.

المهم، وقف الاثنان وهتفا في القاعة بأن اختيار الدكتور عصام العريان والدكتور حلمي الجزار هما أكبر ضمانة بأن فرز الأصوات سيكون بنزاهة وشفافية ومصداقية، وأنهما رغم خلافهما الأيديولوجي (لازم يستخدموا المصطلحات دي) إلا أنهما يثقان ثقة مطلقة فيهما.. وضجّت القاعة بالتصفيق الحار.

ودخل الأطباء المختارون للفرز، وذهبت لمطعم بجوار مبنى «دار الحكمة» لإحضار «ساندوتشات» للإخوة الذين أعرفهم، ولحق بي الدكتور أحمد عمر وقال:

هتجيب ايه؟

فقلت:

ساندوتشات فول للإخوة .. هما سبعة أجيب لكل واحد ساندوتش.

من أقوال

د. عصام العريان

أثناء إجراء انتخابات نقابة الأطباء 1984م، وكان يوم جمعة، وقف الدكتور عصام العريان خطيبًا في كلمات موجزة، قائلاً:

«إننا اليوم في جهاد لا يقل عن الصلاة والصيام، وصلاتنا اليوم أشبه بصلاة الخوف.. فلتقم طائفة منهم معك.. والطائفة التي لم تصلّ معنا سيذهبون للمسجد المجاور لأداء صلاة الجمعة بعد أن نستلم مواقعهم».

فقال:

يعني إخوانك أنت يأكلوا والباقي يتفرج عليهم؟

ثم قال للرجل:

أنت عندك عيش يعمل كام ساندوتش، وبدأ الرجل يُحصي ما عنده.

فقال له أحمد عمر:

اعمل ساندوتشات بكل اللي عندك.

وبجوار المطعم، كان فيه محل ألبان، فدخل إليه وسأله:

أنت عندك كام طبق زبادي؟

ثم قال:

أحضر كل اللي عندك وهات كرتونه أو اثنين.

وحملنا كل الزبادي وكل السندوتشات التي بالمطعم في الكراتين.

ولا أنسى في حياتي هذا الدرس العفوي من أحمد عمر.. «**مفيش حاجة اسمها أخ تعرفه، وأخ لا تعرفه** (إحنا كلنا عيلة واحدة من نعرفه ومن لا نعرف).

وبدأنا في توزيع الطعام على الجميع، وكانوا يهتمون بالتوزيع على المرافقين للمرشحين الآخرين بلا تفرقة بين هؤلاء إخوان أو غيرهم، مما أذاب الثلج سريعًا بين الأطراف المختلفة.

الحقيقة، أريد أن أركز على هذا المعنى مع «أحمد عمر».. ربما يفعله ولا يتنبه هو نفسه لأهميته.

مثلاً، كنا نقف عند باب النقابة، وجاء طبيب مسن من معارف الدكتور أحمد، وأثناء السلام علينا كان يُعرّفه بنا.. الدكتور فلان وفلان وفلان من إخوان حلوان، والدكتور فلان وفلان وفلان من إخوان المعادي.. وهكذا.. مع إن العادة جرت على تعريف الأطباء بتخصصاتهم أو أماكن عملهم مثلاً.

وقمت بحمل بعض الساندوتشات للقاعة التي يتم بها الفرز، وبعد أن دخلت وبدأت في توزيع الساندوتشات والمشروبات صاح الدكتور حلمي الجزار، وقال:

تفضل يا دكتور علاء.. معلهش.. لو سمحت تجلس مكان اللواء عثمان بك الخواص وتكمل فرز معايا.

وقام اللواء عثمان الخواص وكأنما وجد مخرجًا أخيرًا، وقال:

لا مؤاخذة يا أولاد، أنتم شباب بقى.. العظمة شاخت وظهري ماسك عليا.

وفعلاً، بدأت أفرز مع الدكتور حلمي في الصندوق، ولا يطّلع علينا أحد إلا الله.

وأثناء الفرز، وجدت أوراقًا كثيرة كانت لصالح د.عبد المنعم أبو الفتوح يُهدرها الدكتور حلمي.

مثلاً، كان هناك ثلاث خانات لاختيار ثلاثة أطباء تحت الخمسة عشر سنة، فكنت أجد أحد الناخبين من فرط حبّه للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح وحماسته يضع اسمه مكررًا في الخانات الثلاث.

وآخر يكتفي بوضع اسمه في خانة ويترك الأخريين فارغتين، وعلى هذا كان يُعد الصوت باطلاً، ويضيع على الدكتور عبد المنعم.

وحاولت أن أُقنع الدكتور حلمي الجزار بأن هذا التعسف يُفقد الدكتور عبد المنعم أصواتًا كثيرة ونحن على قناعة بأن الناخب يريد اختيار الدكتور عبد المنعم فعلاً.

وقمت للدكتور عصام العريان، وشرحت له الأمر فوجدته هو أيضًا يُبطل الأصوات التي على هذه الشاكلة.

فقلت له:

ولكن هذا ظلم للدكتور عبد المنعم.

فقال:

إن هذا هو ما اتفقنا عليه مع الجميع قبل بدء الفرز.

ثم قال جملة وردت على لسان الرسول (ﷺ) بعد صلح الحديبية: «**لقد أعطينا القوم وأعطونا**».

وشاركنا الدكتور عز الدين حشيش الحديث وهو يبدي إعجابه بالدكتور عصام العريان والدكتور حلمي الجزار، وقال:

إنهما أروع وأنقى مما كنت أتوقع.

ثم أبدى انبهاره بالحاضر الغائب الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وقال:

«لازم أتعرف عليه بعد انتهاء الانتخابات، وسأسعد كثيرًا بأن أكون زميلاً له في مجلس النقابة.

فأنا منذ سنوات لم أر طبيبًا حصل على مثل هذا الكم من الأصوات، والذي تجاوز 4600 صوتًا (كان رقمًا كبيرًا جدًا وقتها).

وقال:

وأول مرة أرى طبيبًا يحصل على أصوات أكثر من نقيب الأطباء نفسه، بل ويفوز بمقعد النقابة الفرعية بالقاهرة دون دعاية تذكر».

أعتقد أن الحديث طال جدًا، وأصبح من المتعذر ذكر ما حدث من نقلة نوعية في العمل بنقابة الأطباء التي تحولت لمنبر للحريات، وفتحت خدمات ومشروعات للأطباء تحتاج إلى كتب لرصدها.

بعد انتهاء الفرز وإعلان النتيجة، دخل الإخوة مكاتب النقيب والأمين العام وارتموا على السجاد و«الكنب» في إعياء.

لست أدري لماذا جال بخاطري ساعتها صحابة رسول الله (ﷺ)، وهم في ملابسهم الرثة المرقّعة، وهم يطوفون في إيوان كسرى بالمدائن مع المفارقة طبعًا في المثالين ولكنه مجرد خاطر عابر.

في قرب الظهيرة، جاء الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح في بدلة زرقاء قمة الشياكة (كان طول عمره وسيم ووجيه الهيئة).

ثم سلّم علينا وقال ضاحكًا:

«شوفوا لي مفاتيح المكاتب والحجرات كلها بسرعة وسلموها لنا بقى».

أما الدكتور عصام العريان، فقد اختفى من المشهد بعد أن أدّى مهمته على أكمل وجه.

وكذلك بطل هذه الموقعة بلا منازع الدكتور الفاضل أشرف عبد الغفار أو (عبعازيز)، كما كنا نطلق عليه تندرًا.

رحم الله الدكتور عصام، وفكّ أسر الدكتور عبد المنعم، وأعاد الدكتور حلمي والدكتور أشرف من منفاهما صحيحين معافين.

الفصل السابع

عصام العريان الفقيه القانوني

رغم أن حياة الدكتور عصام العريان كانت حافلة بالأنشطة الدعوية والفعاليات العامة؛ فإنه كان ينتهز أي فرصة لاستكمال دراسة نظامية في فرع من فروع العلم.

كانت دراسته الأساسية بكالوريوس طب وجراحة في قصر العيني، ثم بعد تخرجه استكمل الدراسات العليا في مجال «clinical pathology»، حيث حصل على الماجستير في التحاليل الطبية.

وربما لا يعرف هذا الأمر إلا قلة من المتخصصين بأنه حتى رسالته في الماجستير كانت عملاً دعويًا، فقد كنت قريبًا جدًا من الدكتور حلمي الجزار عندما كان يتشارك مع د. عصام العريان

في التحضير للرسالة، وكنت أقابله في معامل الكلية؛ حيث كان يجمع عيّنات البحث.

ولمّا سألته عن موضوع رسالته هو ود. عصام العريان، قال:

إن البحث يدور حول «أثر صيام رمضان على كيمياء الدم» لمرضى خضعوا للبحث ممن يعانون السكري أو ارتفاع الكوليسترول أو اختلال معين في وظائف الكلى تؤدي إلى اضطرابات في نسب الأملاح بالدم.

وأذكر حديث الدكتور حلمي وقتها بأنه هو ود.عصام العريان قد تجردا تمامًا من الميل لأي نتائج مسبقة تؤيد فائدة الصوم أو تحذرمنه لمثل هؤلاء المرضى قبل قراءة النتائج المعملية الواقعية.

وحصل د.عصام العريان على الماجستير هو ود. حلمي الجزار، ثم سجلا للدكتوراه والتي أنجزها الدكتور حلمي، ولكن حالت ظروف اعتقالات د.عصام دون استكمال الدكتوراه في هذا المجال.

ولكن بعد تجربة الدكتور عصام العريان في مجلس الشعب (1987 - 1990م) أقدم على دراسة القانون بشكل نظامي، فحصل على ليسانس حقوق من جامعة القاهرة بتقدير عام جيد جدًا.

واستكمل الدراسات الشرعية بحصوله على ليسانس الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر.

وحصل على إجازة في القراءات وعلوم القرآن الكريم.

كما حصل على ليسانس آداب قسم تاريخ من جامعة القاهرة.

كما أنه كان يستثمر فترات سجنه الطويلة في تنمية قدراته في اللغة الإنجليزية، حيث كان يقرأ الروايات الأدبية العالمية باللغة الإنجليزية.

الشهادات والمؤهلات التي حصل عليها د. عصام العريان

وهكذا كانت حياته حافلة بالنشاط العام والدعوة ومدارسة العلم أيضًا.

ولكني أزعم أن أفضل ما كان يُقدم عليه عصام العريان ويقرؤه، ثم يدرسه للآخرين وهو شغوف هي «حكم ابن عطاء الله السكندري».

فقد كان يحفظها ويشرحها ويضيف لها معاني إيمانية وتربوية، وربما كانت مشبعة بالروحانية الصوفية الملتزمة.

أذكر أنه في عام 1995م، اعتقل الدكتور عصام العريان، وكان سيتم عرضه على نيابة أمن الدولة، وأذكر أنها كانت في مصر الجديدة قبل انتقالها للتجمع الخامس (على ما أذكر لأني أكتب من الذاكرة).

وقد ذهبت مبكرًا للمكان، فوجدت الأستاذ د. حمدي السيد وقتها - نقيب الأطباء المعروف - جالسًا بجوار مكتب وكيل النيابة.

وبعد قليل، جاء بعض الإخوة المحامين، فقلت لهم:

«إن الدكتور حمدي السيد موجود من بدري».

فقالوا (وهي شهادة للرجل):

«ما من جلسة تحقيق للدكتور عصام العريان ولا جلسة محكمة إلا ووجدنا الدكتور حمدي السيد أول الحضور وقبلنا جميعًا».

والدكتور حمدي السيد - أستاذ جراحة القلب بطب عين شمس - رجل كبير في السن (مواليد 1930م).. وهو أكثر طبيب في تاريخ مصر تولى منصب نقيب الأطباء (23 سنة كاملة).

والغريب أن الدكتور حمدي السيد كان عضوًا بارزًا جدًا بالحزب الوطني الديمقراطي، بل وكان رئيسًا للجنة الشؤون الصحية بمجلس الشعب.

ولكن الرجل لم يكن منافقًا ولا فاسدًا.. وربما قاد أشرس استجوابات في المجلس ضد الحكومة؛ مما جعلته ممن يغرد خارج السرب.

د. حمدي السيد

وربما كانت قمة الفانتازيا السياسية الغريبة والعجيبة ما حدث مع الدكتور حمدي السيد عام 2010م.

عندما وقفت دولة مبارك وأجهزتها الأمنية ضده في انتخابات مجلس الشعب عن دائرة مصر الجديدة، بل وقامت بالتزوير لصالح خصمه «مجدي عاشور».. الذي كان مرشحًا على قائمة الإخوان المسلمين!!

وكانت أجهزة الأمن تبذل قصارى جهدهم في إنجاح هذا العضو الإخواني سابقًا.. نكاية في الإخوان أنفسهم لملابسات معقّدة يطول شرحها الآن، وربما وجدت متسعًا من الوقت لكتابة تفاصيل تلك الأحداث.

من أقوال

د. عصام العريان

أثناء التحقيق معه عام 1995م، دار حوار طويل بين د. عصام ورئيس النيابة حول انتمائه لجماعة الإخوان المسلمين، وهنا فنّد د. عصام التهمة (بزعمهم) بطريقة قانونية بارعة، فقال:

«لو كنت تقصد بالجماعة وضعًا تنظيميًا؛ فعلى أجهزة الأمن أن تقدّم دليلاً على ذلك. أما لو قصدت جماعة الإخوان المسلمين كمدرسة إسلامية وسطية تتبنى المنهج الدعوي الإصلاحي المتدرج، فهذا شرف لا أدّعيه وتهمة لا أنفيها. فقد تجاوزت جماعة الإخوان حدود التنظيم والمؤسسة وأصبحت مدرسة فكرية عالمية، وسوف تجد الكثير من المسلمين اليوم في العالم يتبنون أفكارها، ويؤمنون بمنهجها، حتى لو لم يكونوا أعضاءً عاملين بها ولا منتمين لتنظيم من تنظيماتها»

المهم بدأ توارد المحامين وازدحموا عند باب المحقق، وجاء الدكتور عصام العريان في بسمته البشوشة وضحكاته التي ملأت الأركان.

وكان يسلم على كل محام باسمه ويسأله عن أحواله، ثم احتضن الدكتور حمدي السيد بلهفةٍ وشوق، وقال له:

«ليه تتعب نفسك يا أستاذنا.. كفاية حضرتك تدعي لنا ولا تجهد نفسك في الحضور».

فقال له:

«هذا حقك عندنا.. مش لأنك طبيب وأنا نقيب الأطباء أنت عارف إنك ابني يا عصام».

وجاء وكيل النيابة.. الحقيقة كان رئيسًا للنيابة ومستشارًا كبيرًا.

وهمس في أذني أحد الإخوة المحامين، فقال:

هو مش أنت معاك ليسانس شريعة وقانون.. خلاص ادخل معانا جلسة التحقيق بصفتك محامي.

فكانت فرصة رائعة لحضور تلك الجلسة التي امتدت لساعات.

بدأ التحقيق بالديباجة التقليدية عن الاسم والعنوان والوظيفة والسن، ثم الأسئلة المكررة والمقررة:

- ما قولك فيما هو منسوب إليك من انضمامك لجماعة محظورة أُسست خلافًا للقانون؟

وأسئلة بلهاء وعامة ومرسلة من نوعية السعي لتهديد السلم الاجتماعي والوحدة الوطنية والأمن القومي.. وهكذا.

وكان المحامون يدفعون بالدوافع التقليدية المعروفة كالكيدية ومذكرة تحريات المباحث المرسلة.. إلخ.

د. عصام العريان في إحدى محاكماته

وعندما بدأ الدكتور عصام العريان في الحديث عن المضبوطات المحرزة جرت مبارزة قانونية بينه وبين المستشار المحقق.

وكان المحامون الذين ملأوا الغرفة يستمعون بدهشة وإعجاب لرسوخ قدم العريان في توصيف المضبوطات واستشهاده بمراجع أساطين القانون الجنائي والإجراءات، حتى إنه أحيانًا كان يذكر وبدقة الباب والفصل واسم المرجع.

وكان يذكر أ.د. فؤاد عبد المنعم رياض، وأحمد فتحي سرور، وفوزية عبد الستار وكأنه يحفظ مراجعهم عن ظهر قلب.

وأذكر – في الحوار الذي مازال عالقًا بذهني لطرافته وأهميته – كيف أن الدكتور عصام العريان فرّق في المضبوطات التي تم تحريزها بين المحررات الخطية والمطبوعات العامة، والتي تُمثل كتبًا أو مجلات تُباع للعامة بالأسواق، وتجريم إحراز مثل هذه المطبوعات.

وكان رد المحقق أيضًا (وللأمانة كان ضليعًا في القانون)..

– «أن خطورة المطبوعات تتوقف على حائزها؛ فمثلاً وجود كتاب رياض الصالحين عند فرّاش مكتبي غير وجوده في مكتبة عصام العريان».

وكان من رد عصام العريان أن:

«طبيعة جمع نوعية معينة من الكتب من مكتبته، وترك غيرها يشير للتعسف والكيدية».

وأطلق على هذا مصطلح (الاختيار الانتقائي للمضبوطات).

وقال عصام العريان:

إن مكتبته فيها كتب من شتى المعارف والاتجاهات.

وعندما قال للضابط:

«لماذا لا تحرز الكتاب الدوري لجريدة الأهالي اليسارية الذي وجدته بالمكتبة ولا تأخذ مؤلفات فرج فودة أو زكي نجيب محمود؟».

فقال الضابط صراحة:

«إن إذن التفتيش مكتوب به «وتحريز كل ما يثبت انتماء المتهم لجماعة الإخوان المسلمين».

وضحك عصام العريان للمحقق، وقال:

«يعني ممكن ضابط ثاني يحضر للتفتيش، ثم يحرّز من مكتبتي كتبًا بعينها لو تجمعت لديك، فسوف تستدل منها بأني عضو نشط بالحزب الشيوعي المصري!!.

وكذلك دار حوار طويل حول انتماء الدكتور عصام العريان لجماعة الإخوان المسلمين، وهنا فنّد التهمة (بزعمهم) بطريقة قانونية بارعة.

فقال:

«لو كنت تقصد بالجماعة وضعًا تنظيميًا؛ فعلى أجهزة الأمن أن تقدّم دليلاً على ذلك.

أما لو قصدت جماعة الإخوان المسلمين كمدرسة إسلامية وسطية تتبنى المنهج الدعوي الإصلاحي المتدرج، فهذا شرف لا أدّعيه وتهمة لا أنفيها. فقد تجاوزت جماعة الإخوان حدود التنظيم والمؤسسة وأصبحت مدرسة فكرية عالمية، وسوف تجد الكثير من المسلمين اليوم في العالم يتبنون أفكارها، ويؤمنون بمنهجها، حتى لو لم يكونوا أعضاءً عاملين بها ولا منتمين لتنظيم من تنظيماتها».

وانتهى الحوار بالقرار المسبق تجهيزه، وهو تجديد حبس المتهم تمهيدًا لإحالته للمحاكمة.

الدروس المستفادة:

إنك عندما تعرف حقوقك، وما لك وما عليك ستكون مواجهتك للخصم مختلفة.

نعم، قد يضطر لتنفيذ القرارات التي تُملى عليه تحت الترهيب والترغيب، ولكنه سيكون في موضع ضعف ومهتز.. مهما حاول أن يبدو أمامك غير ذلك.

ولكن عندما يحكم الطواغيت تكون القرارات القضائية تبعًا لهوى السلطان وإرادته، مهما كانت وجاهة حجتك أو قوة دفاعك.

وفي حلقات قادمة إن شاء الله، نسلط الضوء على مشهد آخر من حياة الأخ الشهيد الدكتور عصام العريان (رحمه الله).

الفصل الثامن

رحلة إلى رأس سدر

كان ذلك في صيف 1989م.. اتصل بي الأخ مسؤول حلوان، وأبلغني بضرورة تجهيز نفسي لرحلة شاطئية يوم الجمعة، وضرورة إحضار ملابس البحر معي.

وقبل أن أتحدث عن تفاصيل ما حدث في ذلك اليوم، أحب أن أشير إلى الآتي:

- أني أكتب من الذاكرة ومن عفو الخاطر ودون تحضير مسبق.
- وأنني أحاول نقل صورة ما رأيته وعايشته بكل تفاصيله وبشكل دقيق، إلا أنني أحيانًا قد أتجاوز موقفًا أو أشير لاسم بالرمز تلميحًا لا تصريحًا لضرورات معينة.. أو لمحظورات لست في حل من ذكرها.

ولكن تبقى الأحداث في جملتها منقولة بكل مصداقية وأمانة كما عايشتها وكما أذكرها.

كان الأخ الكريم مسؤول حلوان الذي أبلغني بالرحلة، وسوف أشير إليه بالرمز (م.ع).. هذا الأخ له قصة كبيرة جدًا سوف أسرد تفاصيلها بعد الانتهاء من ذكرياتي مع الدكتور عصام العريان؛ لأن فيها من الدروس والعبر الكثير والكثير.

ولكن - على سبيل الاستطراد الموجز جدًّا - يكفي أن أذكر أن الأخ (م.ع)، الذي لا يعرفه شباب الإخوان بحلوان اليوم - كان هو من يرفع راية الإخوان المسلمين بحلوان وحده فقط.

وأنه في نهاية السبعينيات لم يكن في حلوان كلها إخوان إلا هو وبضعة نفر من أصحاب التاريخ القديم، والذين انقطعوا عن التواصل مع الجماعة لظروف ألمت بهم.

وأن هذا الأخ كان أول نقيب أسرة جلست معه في حياتي، وكانت أسرتنا تتكون منه نقيبًا، والدكتور علاء السيسي - أخصائي الباطنية فيما بعد - والدكتور سعد عبد الحليم، الذي سافر إلى إنجلترا، وحصل على الزمالة البريطانية في التخدير، وعاش هناك هو وأولاده.

ولأن الأسرة لم تستكمل النصاب، فقد قمنا بدعمها بأخوين من المعادي.

هذه النبتة الصغيرة من «شبه الأسرة» تحوّلت بعد ذلك لقوة ضاربة تصويتية للإخوان المسلمين في أي انتخابات بعد خمس سنوات فقط عندما سحقنا الحزب الوطني الديمقراطي وقوى اليسار والناصريين الذين كانوا يعتبرون حلوان ظهيرهم السياسي المؤازر.

لدرجة أن «حزب التجمع لخالد محي الدين» مازال يفاخر بأنه حشد في نهاية السبعينيات قرابة 10 آلاف في مؤتمرهم بميدان محطة حلوان.

ولكن جاءت انتخابات مجلس الشعب عام 1987م، وألقى الإخوان في الساحة السياسية عصا موسى التي لَقَفت ما يأفكون.

فرغم الضغوط الأمنية والتزوير، اقتنص الإخوان أربعة مقاعد من قائمة المرشحين التسعة، بل وفازوا بالمقعد الفردي بعد هزيمة وزير الإنتاج الحربي جمال السيد، والذي كان يَعتبر عمال المصانع الحربية أصواتًا مضمونة له، فصوّتوا للإخوان بدلاً من وزيرهم.

المهم.. هذه فترة تحتاج لتفاصيل وسرد أكثر إسهابًا.

ولكن أحببت أن أذكر الأجواء عام 1989م، والإخوان ساعتها يُمثلون أكبر كتلة برلمانية معارضة في مجلس الشعب بعدد أعضاء 36 ومعارضة تجاوزت المائة فرد.

ركبنا الباص، وكنا قرابة الخمسين تقريبًا وعلى رأسنا د.عصام العريان، ود. عبد المنعم أبو الفتوح، ود. أحمد عمر، والأخ مسؤول حلوان الدكتور (م.ع).

وكان يقود الرحلة أخ من أصحاب الشركات السياحية، وسأرمز له برمز (أونكل زيزو).

فقد قام (أونكل زيزو) بتسخير أجواء هذه الرحلة الهامة لتؤتي ثمارها المرجوة.

كان (أونكل زيزو) يمارس معنا دور المرشد السياحي الضليع، ويشرح لنا كل كبيرة وصغيرة على طريق السويس، والنفق الذي يربطنا بسيناء وتفاصيل كثيرة فنية عنه.

وكنت ألحظ الدكتور عصام العريان منهمكًا في الكتابة بنوتة جيب صغيرة، وكلما كتب ورقة اقتطعها وطبّقها وناولها للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح الذي يجلس إلى جواره.

ربما تجاوزت الوريقات العشرين وريقة.

وقد سألت الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عن هذه الأوراق، فقال: إنه تعوّد هذا من الدكتور عصام العريان.. ما سافر معه سفرًا إلا وعكف على تسجيل أي خاطرة أو مقترح يرى فيه فائدة للدعوة أو للعمل النقابي أو أعمال البر أو أي أنشطة جديدة للإخوة في ورقة صغيرة.

والدكتور عبد المنعم كان يجمع كل هذه الأوراق في جيبه، ثم يبدأ في تفريغها وتنظيمها ومحاولة تنفيذ ما يصلح منها.

فقلت للدكتور عبد المنعم:

إن الدكتور عصام العريان في هذا يُذكرني بالإمام الشافعي عندما بات عند تلميذه أحمد بن حنبل، فلاحظت ابنة الإمام أحمد بن حنبل أن الشافعي لم يستيقظ لقيام الليل، وأنه صلّى الصبح دون وضوء.

ولما سأله أحمد بن حنبل عن ذلك أجابه بأنه لم ينم ليلته، بل بات يفكر في اثنتين وسبعين مسألة فقهية مما ينفع المسلمين فأعاد ترتيبها وتحريرها.

فقال أحمد بن حنبل لابنته:

إن ما فعله الشافعي في ليلته وهو راقد خير مما فعله أبوك وهو قائم.

وعندما قُلت ذلك للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح قال لي:

«ما رأيت في حياتي أحدًا يعيش عمره كله للإسلام ولدعوة الإسلام مثل اثنين: مصطفى مشهور، وعصام العريان، يشتغلان لهذه الدعوة على مدار اليوم كله، ولا يعطيانها فضول وقتهما، كما يفعل كثير من الدعاة».

وصلنا لنهاية الرحلة، وكانت قرية سياحية نائية برأس سدر يملكها (أونكل زيزو) وبعض شركائه.

وكان لها شاطئ خاص ليس به أحد غيرنا، وطلبوا منّا بعد تناول الطعام والصلاة أن نلبس جميعًا ملابس البحر ونتوجه للشـــاطئ.

وفعلاً نزلنا البحر وبدأنا في التقدم داخل المياه حتى بعدنا عن الشاطئ، ووصلت المياه لأكتافنا.

وكوَّنّا حلقة واسعة، ثم بدأ الدكتور أحمد عمر في الحديث بأننا قد حضرنا لهذا المكان للتشاور في أمر هام، ومطلوب منا اتخاذ القرار فيه، وهو نية جماعة الإخوان المسلمين في تقديم مرشحين لانتخابات مجلس الشورى، والتي ستبدأ بعد عدة أسابيع.

وبدأنا المناقشات الساخنة حول الموضوع:

- هل تشارك الجماعة بكثافة أم ترشح بعض الرموز فقط؟
- هل من الأفضل المشاركة أصلاً أم نكتفي بما قدمناه من أعضاء في مجلس الشعب؟

وربما كان من المناسب هنا نقل بعض تلك الحوارات للأهمية.

كنت ألحظ الدكتور عصام العريان أثناء السفر منهمكًا في الكتابة بنوتة جيب صغيرة، وكلما كتب ورقة اقتطعها وطبّقها وناولها للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح الذي يجلس إلى جواره.. ربما تجاوزت الوريقات العشرين ورقة.

وقد سألت الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عن هذه الأوراق، فقال:

إنه تعوّد هذا من الدكتور عصام العريان.. ما سافر معه سفرًا إلا وعكف على تسجيل أي خاطرة أو مقترح يرى فيه فائدة للدعوة أو للعمل النقابي أو أعمال البر أو أي أنشطة جديدة للإخوة في ورقة صغيرة.

والدكتور عبد المنعم كان يجمع كل هذه الأوراق في جيبه، ثم يبدأ في تفريغها وتنظيمها ومحاولة تنفيذ ما يصلح منها.

ربما كانت جماعة الإخوان المسلمين، وهي تتقدم للمشاركة في المجالس النيابية، تدرك أن النظام الحاكم لن يسمح لها أبدًا بالحصول على عدد من المقاعد، والتي من شأنها أن تكون ذات أثر في التشريع أو اتخاذ القرار أو تعطيله.

وأن أقصى ما تسمح به بعض المقاعد والتي تستكمل به الديكور الديمقراطي ووجاهته أو التنفيس عن غضب المعارضين - بحسب تعبير كمال الشاذلي - حتى لا تتراكم موجات الاستياء المحبط والمؤدي للانفجار.

أما جماعة الإخوان، فكانت تسعى للمشاركة وهي تبتغي أمرين:

أولاً- محاولة اكتساب المشروعية لجماعة محظورة بأن يكون لها في مؤسسات الدولة ممثلون وأعضاء منتخبون.

وثانيًا- اتخاذ من هذه الرموز المنتخبة في المجالس غطاء قانوني للتحرك الدعوي والأنشطة التي تمارسها الجماعة.

وكان هذا القدر المتاح يُحقّق نوعًا من التراضي بين طرفي الصراع.

ولكن يبدو أن نجاح الإخوان المسلمين في حصد مقاعد تجاوزت ما كان متوقعًا عند النظام الحاكم قد أثار حفيظة

المسؤولين وجعلتهم يستشعرون الخطر، خاصة أنهم يدركون جيدًا أن هذه المقاعد أقل كثيرًا من المستحق لو سارت الأمور بشكل طبيعي ودون تدخلات أمنية وبلطجية.

وبدأت التصريحات المتشنجة على لسان وزير الداخلية وقتها «زكي بدر» بأنهم سوف يواجهون تحركات الإخوان هذه المرة بالشدة والعنف.

بل وقال صراحة متوعدًا:

«وشرف أمي ما في واحد إخوانجي هيدخل مجلس الشورى في الانتخابات القادمة».

وأثناء الحوار كنت أرى بعض الإخوة ينظرون للدكتور عصام العريان أو الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح لمعرفة رأي الجماعة ابتداء هل نشارك أم لا؟

ثم يبنون حديثهم بعد ذلك على توجه الجماعة.. وكان هذا ما يضايقني جدًا ويستثيرني.

فأثناء حديث أحد الإخوة قال عرضًا:

طبعًا إخوانا اللي فوق..

فصرخت فيه مقاطعًا:

مفيش هنا حاجة اسمها إخوانا اللي فوق وإخوانا اللي تحت.

نحن الآن نمارس الشورى واتخاذ قرار في أمر لم يتم البت فيه بعد.. وإلا فإن ما نفعله الآن مجرد مكلمة فقط.

ثم أكملت حديثي بأنني في هذه الجماعة عندما يطرح أمر الحوار وأخذ الرأي فيه، فلا يوجد فوقي أحد إلا الله، ويكون الرأي الذي أُدلي به مثل رأي المرشد أو عضو مكتب الإرشاد سواء بسواء.

فإذا ما اتفقنا على القرار وطُلب منا تنفيذه تحولت لأصغر جندي في الصف طاعة وتنفيذًا والتزامًا.. هذا ما أفهمه من الشورى..

وهنا تدخل الدكتور عصام العريان وأثنى على هذا الكلام، وأكد أن الجماعة لم تتخذ قرارًا بعد، وإلا ما تكبدنا عناء السفر وتجهيز مثل هذا اللقاء.

ومطلوب استطلاع رأي قواعد الجماعة في مختلف المحافظات، ورفع رؤيتهم للقيادة، ثم يتم اتخاذ القرار بناء على ما يصل إليهم.

وهنا تحدث أحد الإخوة أنه لا ينبغي للجماعة أن تتقدم خطوة، ثم تتراجع عنها، ولا يصح أن نرفع راية، ثم نخفضها لتهديد من هنا أو وعيد من هناك.

وبصراحة أعجبني جدًا رد الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح بأن **ما فيه مصلحة الجماعة هو الأولى بالاتباع، فلو كان التقدم مفيدًا تقدمنا ولو كان الانسحاب أجدى انسحبنا، فنحن من نحدد مصلحتنا، وبناء على ذلك نتخذ القرار.**

وكان من رأيي أننا لا نشارك في انتخابات معروف نتيجتها مسبقًا، وسوف تُكلفنا ماديًا وجهودًا وتضحيات في تقديم معتقلين بلا جدوى..

والطريف أني كنت أحد هؤلاء المعتقلين في السجن الصناعي بـ«أبو زعبل» في عنبر قد جهزوه لهذا الغرض مسبقًا اسمه عنبر الانتخابات (وقد كتبت فيه مقالاً مطولاً في «إخوان أون لاين» وفى جريدة آفاق عربية).

وقال عصام العريان:

إنه قابل زكي بدر في مكتب رفعت المحجوب بمجلس الشعب، وحاول مناقشته بأن أداء الإخوان في مجلس الشعب متوازن وموضوعي، فلماذا تلك الحملة الإعلامية عليهم؟

فقال له زكي بدر:

أنتم الأول نزلتم بشعار «الإسلام هو الحل».. اللي طلع دين أمنا (آسف للتعبير الساقط).. وبعدين منزلين لنا تهديد تقولون فيه «شهيد على كل صندوق».. يعني إيه.. عاوزين تستعرضوا عضلاتكم علينا ولا إيه؟

فقلت للدكتور عصام:

والله يا دكتور، إحنا عارفين إن زكي بدر أرعن وغشيم ومطبوعات زي دي هتخليه يتخّن أذن حسني مبارك أكثر علينا.

فضحك الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وقال:

إحنا لازم نعزز سعيد فتوح على عملته دي..

الأخ الفاضل سعيد فتوح هو أخو الدكتور عبد المنعم، وصاحب المطبعة التي طبعت هذا الشعار (شهيد على كل صندوق).

وللتاريخ أيضًا، حتى لا تندثر الحقائق الشعار الذي هز أركان نظام مبارك عام 1987م (الإسلام هو الحل) لم يكن من إبداعات الإخوان، بل كان من وضع الكاتب والمفكر «عادل حسين (رحمه الله)» شقيق أحمد حسين مؤسس «مصر الفتاة» زمان.

وكان عادل حسين في بداياته يساريًا، ثم اتخذ الاتجاه الإسلامي، خاصة في مجال الاقتصاد، وأصبح عضوًا فاعلاً في «حزب العمل» تحت قيادة إبراهيم شكري ورئيسًا لتحرير جريدة الشعب الناطقة بلسان الحزب.

وبمجرد أن نحت مصطلح «الإسلام هو الحل».. باركه الشيخ يوسف القرضاوي، واستقبلته جماعة الإخوان بالاستحسان.

وكان الشعار الإسلامي قبلها «هيا نصلح الدنيا بالدين» للشيخ صلاح أبو إسماعيل..وشعار «الأيدي المتوضئة في مجلس الشعب» للأستاذ عمر التلمساني (انتخابات عام 1984م).

المهم احتدمت النقاشات، وأدلى كل بدلوه في هذا الموضوع بحرية وموضوعية، وكان الاتجاه الغالب هو المشاركة رغم ما سِيق من محاذير ومخاوف.

الشاهد من القصة هنا دلالات مهمة أن هذه الجماعة الربانية المباركة تمارس الشورى وحرية الرأي على أرقى المستويات الممكنة.

وأنها لا تحجر على رأي أحد ولا تتسلط على أفرادها برؤية أو اتجاه إجباري أو قرار مسبق.

وهناك بعض الأفراد الذين يسيرون مع الركب حيثما كان بلا نقد ولا مراجعة، ولكن الملاحظ كلما ارتقيت في المستوى التنظيمي لاحظت سعة الصدر والرأي والرأي الآخر.

وأن حكاية «إخوانا اللي فوق» هذه مجرد أكذوبة ربما اخترعها البعض، وروّج لها لضعف حجته وقصور نظرته.

هذه الجماعة المباركة بمشيئة الله ستبقى هي الأمل المنشود والهدف المقصود والتي تنعقد عليها عوامل النصر القريب - إن شاء الله تعالى.

رحم الله أخانا الدكتور عصام العريان وتقبله في الصالحين.

وفك الله أسر إخواننا المعتقلين، وأثلج صدورنا جميعًا بفتح من عنده إنه ولي ذلك والقادر عليه.